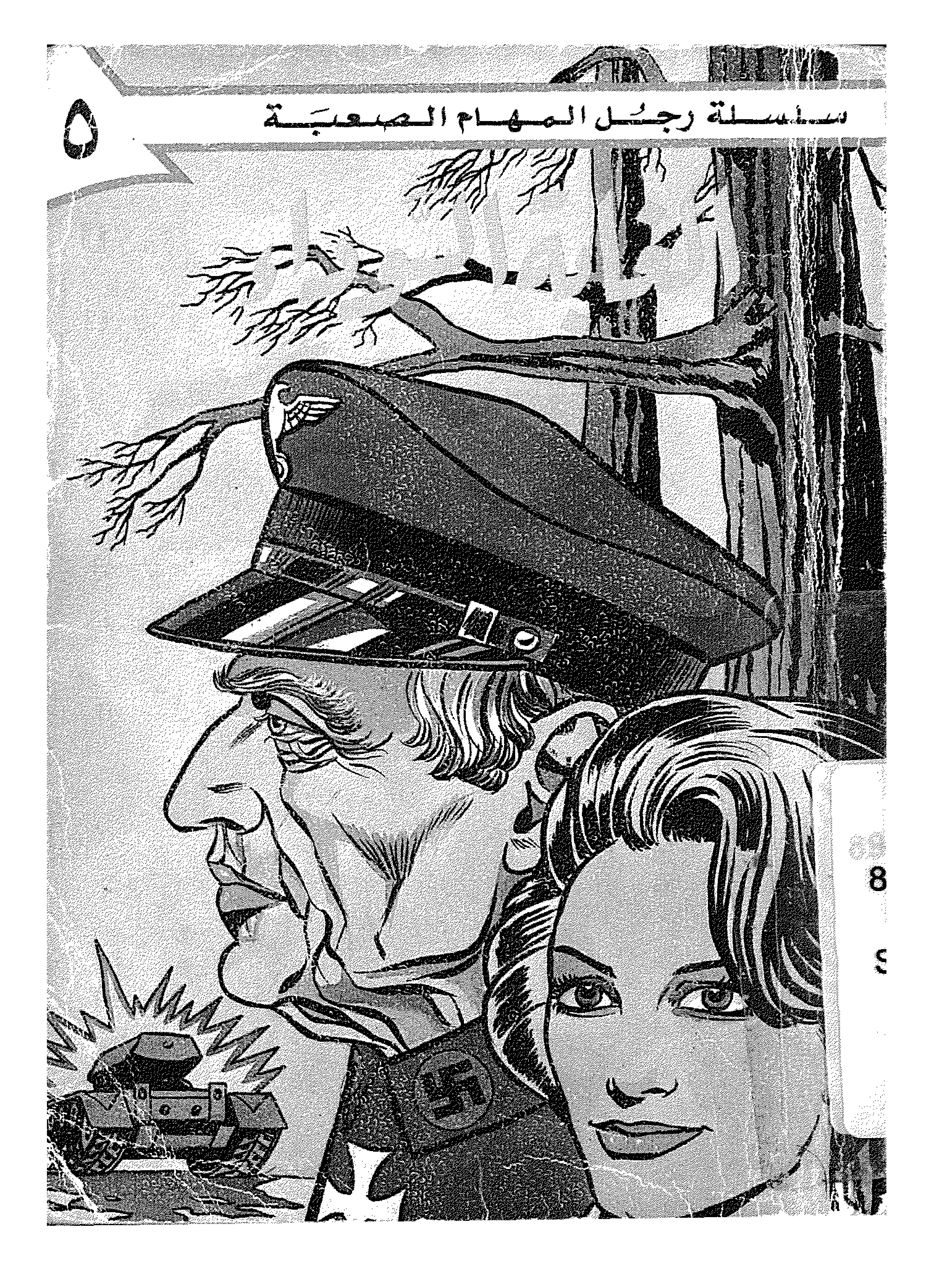
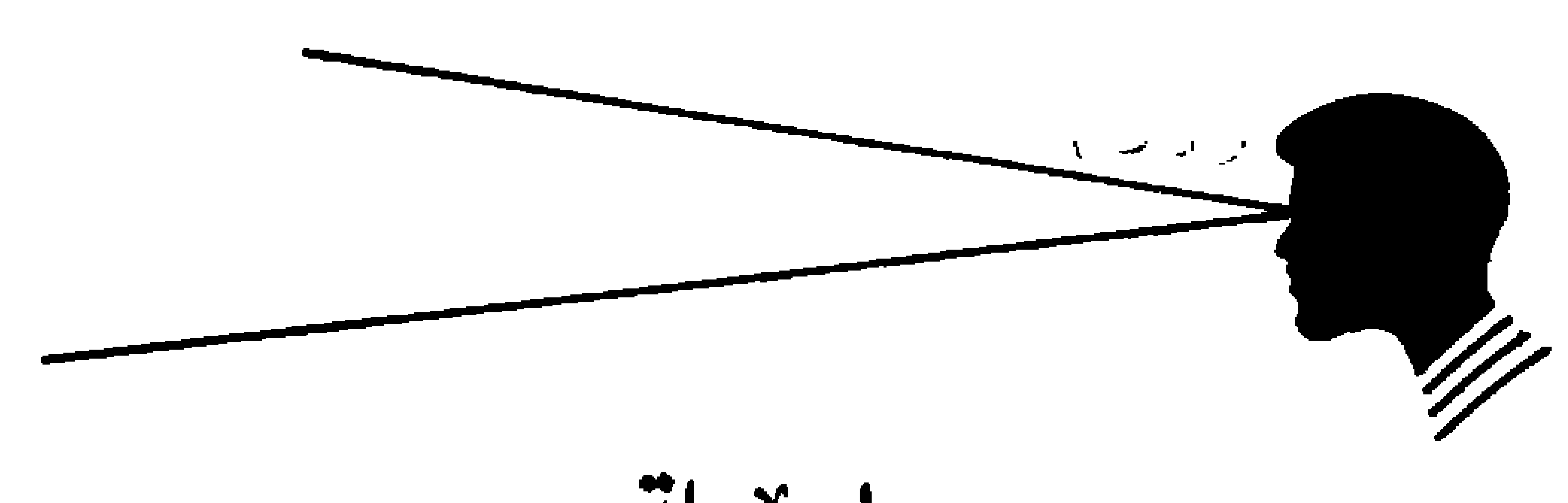

سلسلة رجل المهام الصعبة
٥
8



سلسلة
رجل المهام الصعبة

المغامرة الخامسة

الغابة السوداء

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

الطبعة الثانية

١٩٩٩



دار الجيل

للطبع والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧

رجل المهام الصعبة :

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان « جيمس بوند » هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف ».. ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

« مطاردة.. ومحاولة للقتل »

كان حشد المتسابقين كبيرا، وقد ارتص الناس في طوابير عديدة فوق جبال الالب في منطقة « لوتستبرغ » السويسرية.

كان المشهد خلابا.. قمم من الثلج التي تغطي رووس الجبال على البعد وإلى مدى البصر.. على حين نبتت بعض اشجار الصنوبر هنا وهناك وقد غطت هاماتها بكرات الثلج الناصع..

كان عدد المتسابقين كبيرا يزيد عن مائة متسابق، وقد استعدوا جميعا بارتداء الملابس الثقيلة التي تحميهم من السقوط فوق الثلوج، وغطى البعض عينيه بنظارات عريضة حماية لها من الهواء البارد عند الاندفاع في السباق بسرعة قد تجاوز المائة كيلومتر..

كان السباق دعائيا اقامته احدى الشركات السياحية التي نظمت الرحلة من العاصمة السويسرية « بون » إلى قمة جبال « لوتستبرغ » والتي ترتفع عن سطح البحر بما يزيد عن اربعة الاف متر.. وكان نهاية السباق على مسافة خمسين كيلومتراً إلى الشمال في منطقة

تسمي « بروتاري » حيث يتم تقديم جوائز عديدة للفائزين في احتفال صاخب..

ربط ماجد سيور زحافته وثبتها في قدميه، وألقى نظرة قصيرة فاحصة حوله باتجاه محدد ثم أرخى نظارته السميكة فوق عينيه وبدا مستعدا للانطلاق..

وعندما وقع بصره على الحسناء الالمانية ذات الشعر الكستنائي القصير تحسس مسدسه الصغير من طراز « زيغ سوبر » الذي كان يفضله على ما عداه من انواع المسدسات الاخرى خاصة عيار « ٩ مم » ذي الطلقات التسع بسبب خفة هيكله وسرعته.

كانت الفتاة الحسناء التي راقبها ماجد ذات جمال لا يخفى، برغم ملابسها الثقيلة التي تدثرت بها والغطاء الصوفي الذي أحاطت به رأسها والوشاح الذي لفته حول رقبتها.

كانت ذات عينين خضراوين كالماس المتألق النادر، وكان وجهها متوردا تتناثر به بعض نقاط النمش البنية التي اعطت لبشرتها الوردية جاذبية فائقة.. كما كان فمها صغيرا دقيقا زمته بقوة شأن من يملكون شخصية قاسية لا تعرف الهوادة.. على حين كان انفها الصغير الدقيق محمرا بشدة للجو البارد الذي هبطت فيه درجة الحرارة لما تحت درجة التجمد بخمس درجات..

ألقت الالمانية الشقراء حولها نظرة قصيرة متفحصة وقد انطبعت

فوق شفتيها ابتسامة لطيفة، شأن من يوشك على الدخول في سباق طريف..

ولكن المدقق لنظراتها كان يلاحظ جمودها وحدتها وتركيزها، برغم الابتسامة المرتسمة فوق الوجه الجميل.

تهيأ مشرف السباق على اعطاء اشارة البدء رافعا علماً احمر بين يديه، فأرخت الالمانية الحسناء نظارتها الداكنة فوق عينيها وتحسست رباط زحافتها ثم امسكت بعض الدفع متأهبة.

هبط مشرف السباق بالعلم الاحمر في حركة حاسمة، وعلى الفور انطلقت صفوف المتسابقين بحركة اندفاع بطيئة وسط حماس وتهليل الواقفين.. ثم ما لبثت حركة المتسابقين أن تزايدت وتسارعت وامتدت صفوفهم واتسع الفارق بينها..

وما ان غادر آخر متسابق المكان وسط التهليل الصاخب لجمهور المشاهدين حتى تحركت زحافته الجليدية تجرها ستة كلاب قوية مما تستخدم في جر ونقل الزحافات والاشياء كالدواب.. وكان قائد الزحافة طويلا عريضا نمّت عيناه عن تعبير قاس وكانت له سحنة جامدة بلا مشاعر.. والهب الرجل كلابه الستة فاندفعت تجري بزحافاتها بسرعة بالغة خلف المتسابقين. كان من الواضح أن قائد الزحافة يعرف المنطقة جيدا، وأنه كان يطارد احد المتسابقين، وكان يدرك ان سرعة كلابه مهما كانت فلن تلحق بالزحافات المندفعة بسرعة عالية، ولذلك وجه كلابه إلى طريق مختصر بين اشجار

الصنوبر التي تشكل غابة صغيرة جهة اليسار، بحيث يتاح له باستخدام الطريق المختصر لمواجهة أول المتسابقين في منتصف السباق.

وهبت رياح سريعة نحو الزحافة فازاحت السترة الصوفية السميكة التي يرتديها الرجل فكشفت عن ماسورة مسدس طويل عجيب الشكل.

كانت سرعة ماجد متوسطة في البداية.. فقد كان لا يريد أن تغفل عيناه عن الحسناء الالمانية التي بدت مستمتعة بالسباق ولا تحاول بذل مجهود خاص لتخطي المتسابقين حولها، والذين اندفعوا من الخلف يتجاوزونها بسرعة.. واحتفظ ماجد بمسافة واسعة بينه وبين الفتاة تصل الى خمسمائة مترٍ، ولو شاء لزاد سرعته ولحق بها في أقل من نصف دقيقة..

وبعد دقائق كان آخر المتسابقين قد تجاوزهما، على حين بدت الالمانية الشقراء كأنها لا تعبأ بالسباق وظلت على سرعتها يدفعها الانزلاق إلى الحركة اكثر مما تبذل من مجهود.

وقرابة منتصف مسافة السباق ظهرت غابة الصنوبر الصغيرة جهة اليسار،وتحركت الالمانية نحو مشارف الغابة..

كان موقف ماجد مكشوفا، ولو التفتت الالمانية للمحته وهو يتابعها.. خاصة وقد ابتعد كل المتسابقين عنهما، وعلى الفور زاد ماجد من سرعة اندفاعه وهو يدور دورة واسعة ليختفي عن عيني الالمانية بحيث يخترق الغابة من الخلف ويكمن في انتظارها.



تلفتت الحسناء خلفها فلم تلمح ماجد الذي اندفع وسط اشجار الصنوبر محاذرا ان يكشف نفسه لها.

فجأة دوى صوت طلقة رصاص من الخلف فالتفت ماجد مأخوذاً.. وعلى مسافة لا تزيد عن خمسين مترا شاهد زحافة تجرها الكلاب وتندفع بأقصى سرعتها وقد شهر قائدها مسدسا كبيرا صوبه نحوه واستعد لاطلاقه عليه مرة ثانية.

كان موقف ماجد لا يتيح له الدفاع عن نفسه جيدا خاصة وهو يستخدم يديه الاثنتين في الاندفاع بزحافته والسيطرة عليها، أما موقف مهاجمه فكان افضل لأن كلابه كانت تقوم بمهمه القيادة بلا مشقة فتتيح له استخدام مسدسه ضد ماجد بسهولة.

وكان على ماجد أن يناور ويهرب من مهاجمه.. وكانت زحافته اكثر سرعة وتتيح له المناورة بسهولة عن زحافة مطارده التي تجرها الكلاب..

دوت طلقة ثانية اصابت شجرة صنوبر على مسافة نصف متر من ماجد، فانحرف جهة اليمين وأخذ يتارجح مندفعا بين الأشجار في شكل ثعباني بحيث يصعب على مهاجمه تصويب مسدسه بدقة واصابته.

ودوت طلقة ثالثة ورابعة وخامسة ولكن كلها طاشت بسبب حركة ماجد السريعة.. وفي نفس الوقت كان ماجد يقوم بخطة معينة لخداع غريمه المجهول.

اندفع بزحافته مبتعدا بأقصى سرعة وسط الغابة الصنوبرية الكثيفة، وبمهارة فائقة راح يتفادى الاشجار المندفعة نحوه كأحسن متزحلق حتى دار دورة واسعة وصار خلف عدوه بدون ان يحس به الآخر..

كان عدوه يعدو أمامه بزحافته وهو يتطلع جهة اليمين واليسار باحثا عن ماجد، وهو يتتبع اثر زحافته على الأرض الثلجية..

وفاجأه ماجد من الخلف قائلا بالألمانية : هل تبحث عن شيء ايها الهر ؟ استدار الرجل إلى الخلف بسرعة مطلقا مسدسه بحركة سريعة مباغتة، وتوقع ماجد الحركة فمال جهة اليسار بزحافته في نفس اللحظة التي اطلق فيها من مسدسه طلقة واحدة ترنح على اثرها الرجل وسقط من زحافته فوق الجليد وقد ظهرت بقعة داكنة من الدماء على رقبته، على حين اندفعت الكلاب بالزحافة بعيدا وهي تنبح بشدة.

هدّأ ماجد من سرعته واقترب محاذرا من الرجل الراقد فوق الجليد والذي اصطبغ بلون احمر قانٍ.. وتحسس ماجد نبض الرجل فوجده ميتا، وتعجب أن ملامح الرجل كانت تدل على انه بلغ حوالي السبعين من عمره، ولكنه مع ذلك طارده بقوة عجيبة.

قام ماجد بتفتيش الرجل فلم يجد معه أي اوراق سوى ورقة صغيرة عليها بضع كلمات باللغة الالمانية وكانت « فندق كارلتون. بون ».

ولم يجد ماجد في جيوب الرجل أي شيء آخر عدا مسدس طويل غريب الشكل لم يشاهد ماجد مثله من قبل، وكان واضحا على هيكل المسدس انه قديم وإن كان نظيفا لامعا مما يدل على شدة الاعتناء به.. ربما عمره ثلاثون أو أربعون عاما. وتفحص ماجد خزانة المسدس وقرأ رقم المسدس وتاريخ الصنع فوجده عام « ١٩٤١ ».

دس ماجد المسدس في جيب سترته وتحرك خارج الغابة، وتلفت حوله.. لم يكن للفتاة الالمانية أي أثر حوله فأدرك انه اضاع اثرها، في حين أن الاوامر الصادرة إليه كانت تقضي له بأن يتبعها ولا يجعلها تغيب عن عينيه أبداً.. ولكن ما حيلته وهناك شخص يطارده بالرصاص..

ولم يفقد ماجد الامل وقال لنفسه، لعل الالمانية لا تزال هنا او هناك، ولعلها شاهدت المطاردة التي تمت بينه وبين عدوه المجهول فآثرت الاختباء او الهرب. وانطلق ماجد بزحافته وسط أشجار الغابة الصنوبرية الصغيرة يلقي النظر هنا وهناك.. ولكن بعد وقت اكتشف أن لا وجود لها.. وفكر في أنها لا شك قد انتهزت فرصة المطاردة التي قامت بينه وبين عدوه في الهرب إلى مكان مجهول، وكان من الغباء ان يفكر في انها عادت إلى مكان بداية السباق، أو انها اتجهت إلى نهايته في « بروتاري ».

ولم يكن امام ماجد سوى أن يواصل السباق وأن يعوض ما

ضاع منه من وقت فاندفع خلف المتسابقين بسرعة بالغة وقد اكتست ملامحه بغضب مكتوم، وتقلصت اصابعه على عصاتي الدفع بقوة بالغة، ورأسه تصدع بعشرات الافكار المحمومة المتدافعة لتعقد مهمته في بدايتها.

* * *

« البهجوري.. واختطاف مريب »

والبداية كانت منذ اسبوع بالضبط..

استدعاه رئيسه « م » من أعمال روتينية كان ماجد يتولى بعضها بين مهمة وأخرى، وما كاد يستقر في مقعده أمام رئيسه حتى دفع إليه بملف كان يحتوي على ورقة مكتوبة بخط اليد، وصورة لرجل في الخمسين من عمره يبدو على ملامحه الهدوء والاتزان ويرتدي نظارة طبية سميكة.. وكان منظره يوحي بأنه طبيب أو عالم وهو ما تأكد منه ماجد عندما بدأ بقراءة التقرير المرفق مع الصورة..

كان الرجل يدعى « سعد البهجوري » وكان استاذاً لمادة الكيمياء العضوية وحاصلا على عدة درجات علمية في التحليل الكيمائي والغازات من جامعات اوروبية وامريكية عديدة، وكان يعمل كأستاذ زائر في إحدى الجامعات الالمانية..

وكان البهجوري يقوم بابحاث عديدة في بعض التركيبات الجديدة في كيمياء الغازات العضوية لحساب الجامعة التي يعمل بها، عندما

توصل إلى تركيبة غاز جديدة قال عنها انها اكتشاف العصر، وكتمت الجامعة الالمانية الخبر وكذلك البهجوري،ورفض التصريح بـأي معلومة حول طبيعة هذا الغاز الذي يبدو أن له طبيعة عسكرية كبيرة، وتم رفع الامر إلى الحكومة الالمانية عندما اختطف العالم المصري من معمل الجامعة ولم يعثر عليه أحد منذ ذلك الحين.

قال « م » بهدوء : لا بد انك ادركت أن اختطاف البهجوري كان بسبب اكتشافه الجديد.

ماجد : من المؤكد ان ذلك الاكتشاف من الأهمية بمكان يا سيدي والا ما اختطف العالم المصري من اجله.

ــ هذا صحيح تماما يا ماجد.. ان البهجوري لم يكن مبالغا عندما قال إن هذا الغاز هو اكتشاف العصر.. ونتيجة لتقدير الرجل لمسوؤلية العملية فقد تشاور مع الجامعة التي يعمل بها والتي قررت رفع الامر للحكومة الألمانية للتصرف فيه حتى لا يستغله البعض بطريقة سيئة.. وكانت أوامر الحكومة الالمانية للجامعة بأن تدمر كل الوثائق والمعادلات الكيمائية التي دوَّنها البهجوري عند اكتشافه لهذا الغاز.. وأن يتناسى الجميع الأمر برمته كأنه لم يكن بسبب خطورة ذلك الاكتشاف.

قطّب ماجد جبينه متساءلا : اذن فلا بد أن تأثير هذا الغاز خطير جدا.. أيمكن أن يكون أخطر من الغازات الكيمائية السامة التي تسبب الموت او الشلل أو الجنون ؟

ـــ ان هذا الغاز الجديد والذي اطلق عليه اسم « بيتاديل » لا يسبب الموت أو الشلل أو الجنون.. ولكنه يسبب ما هو اخطر من ذلك.. المسح الكامل لذاكرة الانسان.

هتف ماجد بدهشة بالغة : ماذا تقول يا سيدي ؟

ـــ هذه هي الحقيقة.. إن من خصائص هذا الغاز أنه عندما يتنفسه الانسان ولو بكميات ضئيلة جداً فانه يذوب في الدم عن طريق الجهاز التنفسي ويصعد إلى المخ ليدمر خلايا الذاكرة ويمسحها تماما، كأنك تقوم بمسح ذاكرة خلية الكترونية في جهاز كمبيوتر.. وبعدها يصير الانسان بلا ذاكرة.. بلا هوية.. بلا ماضي أو تاريخ.

ـــ انه غاز رهيب حقا يا سيدي.

ـــ وهذا ما دفع الحكومة الالمانية إلى طلب تدمير كل وثائقه ومعادلاته من البهجوري والجامعة الالمانية وهو ما حدث بالفعل، فقد خشي المسؤولون أن يقع ذلك الاكتشاف في أيدي غير أمينة فتستغله في الحرب.. انه سيكون أبشع أثراً من القنابل النووية، فعندما ترغب دولة في هزيمة دولة منافسة فليس عليها سوى ان تلقي قنبلة من هذا النوع على الجيش المعادي لتحوله إلى اشباح آدمية أقرب إلى الحيوانات بلا أي ذاكرة أو تاريخ.. إن هذا الغاز قد يكون فيه القضاء على حضارة الجنس البشري. واشعل « م » سيجاراً نفثه وقد علت وجهه سحابة من الضيق وهو يقول : لقد تقدمت اكثر من حكومة صديقة للحكومة الالمانية تطلب المشاركة في تصنيع

هذا الغاز والاطلاع على أسراره على أن تدفع مئات الملايين، ولكن الحكومة الالمانية رفضت هذه العروض كلها وأمرت بتدمير كافة وثائق المشروع كما اخبرتك، ومن جانبه فقد تعهد البهجوري بأنه لن يشي بسر هذا الغاز وتركيبته الكيمائية لأي انسان، وكان يستعد للعودة إلى مصر والاخلاد إلى الراحة عندما تم اختطافه من معمله.

ـ فكان من الواجب على الحكومة الالمانية حماية البهجوري توقعا لمثل ذلك العمل.

ـ كان هناك حارسان.. لكنهما قتلا على أيدي المختطفين في معمل البهجوري.

ـ أليس هناك أية معلومات عن هوية هؤلاء المختطفين؟

ـ حتى الآن تسير الشرطة والمخابرات الالمانية في ظلام دامس، وهناك آراء عديدة بعضها يقول إن المخابرات الامريكية أو الروسية أو بعض اجهزة المخابرات الاوروبية والعالمية وراء هذا الاختطاف للحصول على تركيبة الغاز من صاحبه، ولكن كلها اجتهادات لم يثبت صحة أيها.

ماجد : إن المسألة معقدة فعلا.

ـ ومهمتك هي البحث عن البهجوري والعثور عليه حيا.. او معرفة مصيره ان كان قد قتل ومصير اكتشافه، وهل اجبره البعض على اعطائهم المعادلات.. ومن هم هؤلاء الذين قاموا بهذه العملية..

والاهم من ذلك كله استعادة هذه المعادلات من الاشخاص أو الجهة التي حصلوا عليها أيا كانوا قبل انتاج الغاز.

ــ ولكن اعتقد ان البداية صعبة جداً يا سيدي.. من الواضح انه ليست هناك أي خيوط تؤدي إلى معرفة الفاعلين.

نقر « م » على مكتبه باصابعه وتراجع بمقعده إلى الخلف وهو يقول : ان هناك خيطا.. لا أدري إن كان يؤدي إلى ما نبحث عنه أم لا.. لقد بحثت الجهات الأمنية الالمانية خلفه فلم تسترب في شيء .. ومن جهتنا فليس هناك بداية اخرى تستطيع أن تنطلق منها.

ومد « م » يده في درج مكتبه فاخرج صورة ملونة لحسناء ذات شعر كستنائي قصير وعينين خضراوين متألقتين ووجه اشقر يغطيه النمش.

تأمل ماجد الصورة بصمت ورفع عينيه إلى « م » متسائلاً، فأجابه الاخير : انها مساعدة البهجوري.. إحدى طالباته التي كانت تدرس الكيمياء على يديه، وبسبب نباهتها وتفوقها اختارها البهجوري لتكون مساعدة له قبل حادث اختطافه بشهر.

ــ وهل كانت موجودة وقت الاختطاف في المعمل ؟

ــ نعم.. وحسب روايتها عن الحادث فان المختطفين كانوا ثلاثة يرتدون ملابس سوداء واقنعة فوق وجوههم ويتحدثون الالمانية

بلهجة حادة صارمة وان احدهم ضربها بمؤخرة رأسها، بينما اندفع الآخران نحو البهجوري ليقيداه، وأنها سقطت فاقدة الوعي ولم تفق إلا في المستشفى بعد ذلك، وتأكدت الشرطة الالمانية من صدق روايتها عندما اكتشفوا جرحاً قطعيا في مؤخرة رأسها مكان ضربة المسدس، وزيادة في التأكد فقد عرضوها لجهاز كشف الكذب فكانت النتيجة لصالحها.

ــ اذن.. فهي ليست متورطة في مسألة الاختطاف ؟

ــ هذا هو الارجح.. ولكن هناك سؤالا يبرز في نفس الوقت، وهو لماذا لم يقم المختطفون بقتلها كما قتلوا الحارسين ؟

ورمق « م » ماجد بنظرة ضيقة وهو يقول : إن الاجابة على هذا السؤال قد يكون فيها معرفة مصير البهجوري وهوية مختطفيه.

ــ والمساعدة الالمانية ؟

ــ سونيا.. لقد غادرت المستشفى وقررت قضاء اجازة قصيرة في جبال سويسرا لتنسى فيها كل ما مر بها من احداث، ومهمتك ستكون متابعتها ومراقبتها عن بُعد دون أن تحس هي بذلك.

ــ واذا تعرضت سونيا للخطر ؟

ــ ستكون مهمتك هي حمايتها ايضا.. إننا لا ندري إن كانت متورطة في هذه المسألة أم لا.. ولكن من المؤكد أن قتلها أو التخلص منها سوف يضعنا في ظلام دامس.. إنها بصيص الأمل

الوحيد المتبقي لنا للوصول إلى البهجوري وحماية العالم من الاستخدام الشرير للغاز الذى اكتشفه والذى قد يجبره مختطفوه تحت وطأة التعذيب على البوح بسر تركيبته الكيمائية.

ومد « م » إلى ماجد ورقة بها المعلومات الضرورية عن سونيا.. كانت في الواحدة والعشرين من عمرها، توفى والدها في حادث غامض أما امها فتعمل في احد محلات السوبر ماركت، والفتاة تعيش مع امها في « بون » بشارع « الحرية » رقم ٤١٢، وكانت قبل التحاقها كمساعدة مع البهجوري تعمل في أحد المعامل الكيمائية.. معروف عنها القوة والصلابة وليس لها أي علاقات عاطفية كما انها غير متزوجة.

اعاد ماجد الورقة إلى « م » بعد أن استوعب كل ما دوَّن بها واستقر في ذاكرته، ومد « م » إلى ماجد بتذكرة سفر إلى بون على الخطوط الالمانية وجواز سفر وتأشيرة دخول المانيا لمدة شهر ومدوّن به وظيفته كصاحب شركة سياحية مصرية.. وهكذا كانت البداية.

* * *

« ظهور واختفاء »

لحق ماجد بآخر المتسابقين في نهاية السباق.. وكان الاحتفال قد بدأ للاحتفاء بالفائزين بالسباق، فآثر ماجد أن يعود إلى فندقه الذى يقيم به على مسافة قريبة، فاستقل احدى الزحافات التي تجرها الكلاب ونقد سائقها أجرته ودلف إلى الفندق الدافئ وبعد قليل كان يأخذ حماما دافئا يزيح به هموم افكاره.

اختفت سونيا، وكان هذا أسوأ ما في الأمر.. اختفت أو هربت لا يدري ما هي الحقيقة..

وطوال الايام السابقة التي راح يراقبها متنقلا في أرجاء سويسرا خلفها، كانت الفتاة تبدو كما لو كانت تقضي اجازة ممتعة تريد أن تنسى بها همومها.. ولم يفد ماجد من مراقبتها شيئا، فلم يشاهد أحداً يحاول محادثتها أو التقرب منها، بل انها لم تستخدم التليفون خلال تلك المدة أبداً.. وحتى حجرتها التي كانت تقيم بها أعلى حجرته في نفس الفندق لم يكن بها تليفون..

كان ذلك كله يقنع ببراءتها وبأنها لا يد لها فيما جرى لاستاذها..

ولكن لو كان ذلك صحيحا لعادت إلى الفندق لتأخذ متاعها القليل وترحل من المكان وما اختفت على تلك الصورة.

وتساءل ماجد بدهشة : ما الذى جعلها تتأخر في السباق وتتجه إلى مشارف الغابة الصنوبرية.. هل كانت على موعد مع أحد.. ومن هو ذلك الشخص الذى حاول قتله.. هل هو متعاون مع سونيا وأحس الاثنان بمراقبة ماجد لهما فأرادا التخلص منه.. أم هل كانت مهمة ذلك الشخص قتل سونيا وعندما فوجئ بماجد حاول قتله أولاً ؟

لم يكن اي شيء مؤكدا، وكانت الوحيدة التي تستطيع الاجابة على تلك التساؤلات هي سونيا نفسها، ولكنها اختفت فجأة.

وفكر ماجد مرة أخرى.. لو كانت الفتاة بريئة لابلغت عنه عندما شاهدته يقتل مهاجمه.. ولكن لعلها بريئة بالفعل وخشيت من احتجاز الشرطة لها واستجوابها ففضلت الاختفاء ونسيان ما شاهدته.

وكان يمكن لماجد ابلاغ الشرطة السويسرية بما حدث ولكن ذلك سيؤدي لتعقيدات كبيرة، فلا احد هناك يعلم بمهمته، وسيصعب عليه اثبات انه كان يقوم بالدفاع عن نفسه، وربما تضطر الشرطة السويسرية إلى احتجازه فتفشل مهمته.

وتذكر ماجد المسدس الذى عثر عليه في حوزة مهاجمه، وتذكر العنوان الذى وجده مدونا في ورقة بجيبه وفكر، هل يسافر الى المانيا ويعتبر ذلك العنوان نقطة بداية اخرى له بعد اختفاء سونيا ؟

وكان يجب أن يستشير رئيسه أولاً ويخبره باختفاء سونيا.

جفف ماجد نفسه.. كان يريد التأكد من شيء أولاً قبل أن يتصرف أي تصرف.

وارتدى ملابسه وغادر الفندق ودار حوله من الخلف، لم يكن هناك احد بالخارج في مثل هذا الجو البارد.

على مسافة قريبة ظهرت من الامام محطة التليفريك التي كانت خالية من الرواد في ذلك الوقت لانشغالهم في السباق، وظهرت اسلاك التليفريك الضخمة ممتدة عبر قمم الجبال كجسر رفيع يمتد إلى نهاية الافق، على حين كانت الهوة بأسفله لا قرار لها.

وبخفة تسلق ماجد الجدار الخشبي الخلفي للفندق ذا البروزات الناتئة حتى وصل إلى الطابق الثاني.

وكانت حجرة سونيا على يساره بمسافة متر وكانت نافذتها مغلقة..

وتعلق ماجد بافريز النافذة وتأرجح حتى صار اسفلها تماما، واستند إلى الافريز بيد واحدة، وبيده الاخرى أخرج من جيبه قاطعة زجاج وصنع دائرة في الزجاج، ثم دفعها بيده فسقطت داخل الحجرة.. ومد ماجد يده ففتح النافذة وقفز داخلها.

كانت الحجرة خالية، وكانت ملابس سونيا مرتبة فوق مشجبها وفي دولابها المفتوح وكانت هناك حقيبتان كبيرتان بجوار الفراش..

امتدت اصابع ماجد نحو الحقيبتين واخذ يقلب فيهما.. لم يكن هناك شيء هام.. خرائط سياحية عن سويسرا وجبالها ورواية « البرتقالية الآلية » للمؤلف الانجليزي « انتونى بيدجس » مطبوعة باللغة الالمانية، وكتاب ثالث عن آثار الشتاء النووي على الكرة الأرضية.

دس ماجد يده اسفل الفراش فعثر على جواز سفر سونيا.. وهنا فقط تأكد أن الفتاة لن تستطيع أن تذهب بعيدا، وانها لم تكن تنوي الهرب والا لاحتفظت بجواز السفر.

وخبأ ماجد جواز السفر في جيبه ثم غادر الحجرة بنفس الطريقة.

* * *

في المساء استقر ماجد في صالة الفندق وعيناه مصوبتان على مدخله، وهو يتظاهر بقراءة جريدة محلية وقد وضع مظلته بجواره كأى سائح قد تضطره الظروف إلى مغادرة الفندق برغم سقوط الثلج بالخارج.. لم يتصل برئيسه « م » فقد صار مقتنعاً من عودة سونيا.

وفي التاسعة شاهد الفتاة الالمانية تدخل الفندق يبدو عليها التعب والارهاق، ولم تلتفت إلى ماجد بل اتجهت مباشرة إلى موظف الاستقبال وسألته اذا كان هناك أي رسائل لها فأجابها بالنفي، فاتجهت صاعدة إلى حجرتها.

وانتظر ماجد بقلق وهو يتساءل ماذا ستفعل الفتاة عندما تكتشف زجاج نافذتها المقطوع وجواز سفرها المفقود ؟

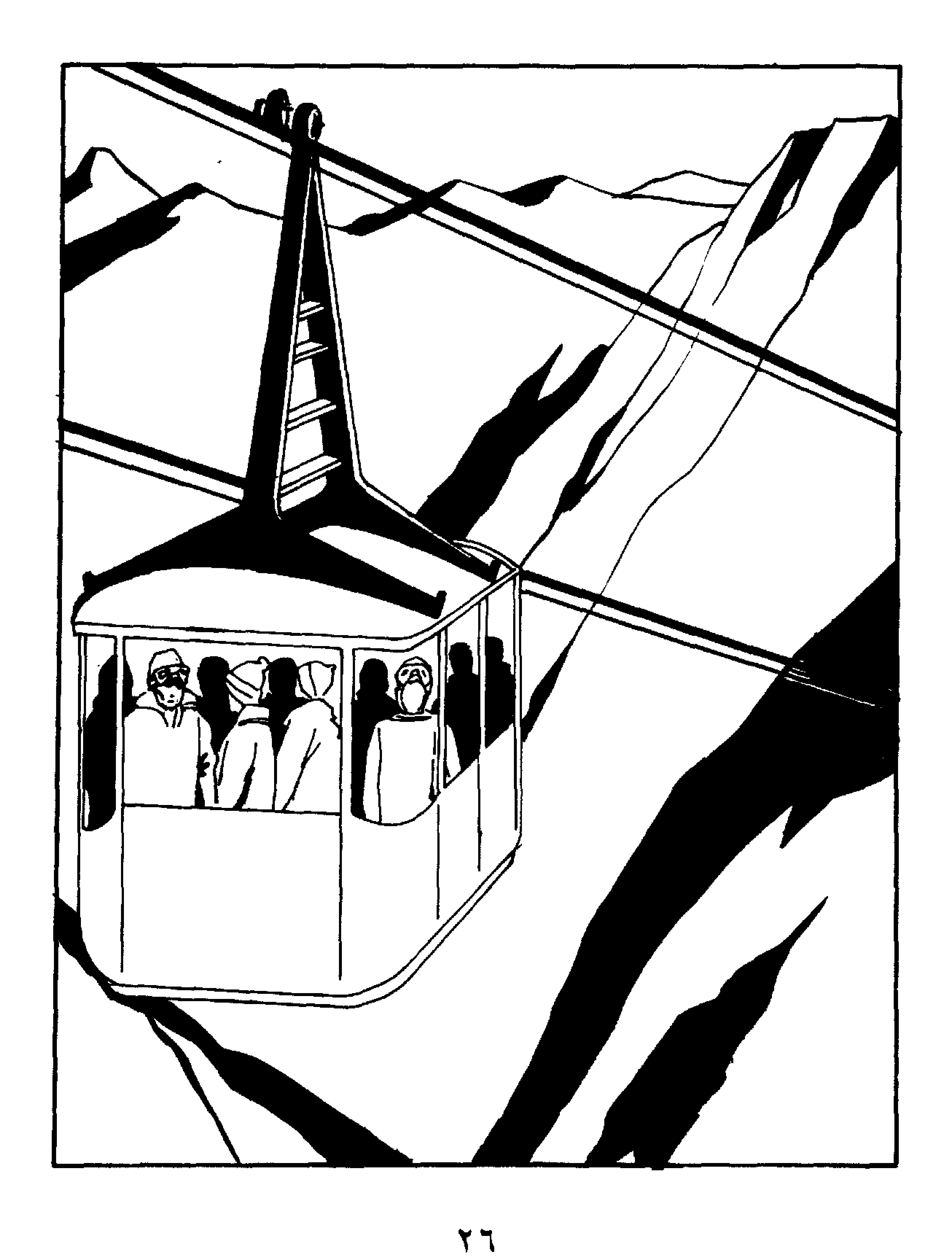
بعد دقائق هبطت الفتاة مرة أخرى إلى الصالة وقد اكتسى وجهها بشحوب عميق وامتقع لونها، وتقدمت مترددة من موظف الاستقبال وقد ظهر عليها انها مترددة بشدة في ابلاغه بشيء ما.. واقترب منها الموظف وسألها بدهشة : هل انت مريضة يا سيدتي.. هل استدعي لك طبيباً ؟ ولكن الفتاة غمغمت بكلمات شكر مقتضبة وحدجت الجالسين في الصالة بنظرة سريعة متحيرة ثم استعاد وجهها عزمه وصلابته واتجهت خارجة من الفندق.

وبتمهل شأن من لا يعنيه الأمر غادر ماجد الفندق بعدها بلحظات قصيرة.. وتعمد ماجد أن يطيل المسافة بينه وبينها وهو يفكر فيما ستفعله الفتاة في اللحظات التالية.

كان ما ستقوم به سيكشف موقفها بالتاكيد.. فان كان هناك من يقف وراءها فسوف يساعدها لمغادرة البلاد بأى وسيلة ولو كان بجواز سفر مزور.. أما إن كانت بريئة وحيدة فسوف تبلغ السلطات أو سفارة بلدها بفقدانها لجواز سفرها.

كان الثلج يتساقط بنعومة وكثافة في الخارج، ولكن سونيا لم يكن يبدو عليها أنها تحس بشيءٍ حولها.

وتوقفت امام محطة التليفريك التي ازدحمت بالسائحين الذين لم يعبأوا بسقوط الثلج.



ووقف ماجد في الطابور خلف سونيا على مسافة عدة اشخاص بعد أن اقتطع تذكرة.. ولسوء حظه فما كان يهم بدخول التليفريك خلفها حتى منعه موظف المحطة وهو يقول بأدب : لقد اكتمل العدد يا سيدي.. يمكنك انتظار التليفريك التالي.

ادرك ماجد أن فرصته قد تضيع منه فاحتج قائلا : ولكنني مستعجل. رد الموظف بحسم : ان الجميع مستعجلون يا سيدي.. ولا يمكن لاحد أن يكسر النظام هنا.

صمت ماجد على مضض.. وشاهد عربة التليفريك التي دخلتها سونيا وهي تغادر مكانها امامه وتنطلق اسفل شريطها الحديدي الكهربائي المائل للأسفل قليلا ولسوء حظه.

وبعد خمس دقائق انطلقت عربة اخرى وبداخلها ماجد.. كان معه ثلاثة اخرين.. رجل وزوجته وطفلهما، وكانت تبدو عليهم السعادة وهم يتطلعون خارج نوافذ التليفريك إلى اسفل حيث الهوة العميقة التي كشفها ضوء القمر الساطع، ثم إلى الاجناب حيث التمعت بعض الاضواء هنا وهناك فوق قمم الجبال القريبة او عند نهاية الخط الذى يمتد لمسافة عشرة كيلومترات.

كان التلفريك يسير ببطء .. وكانت المسافة التي تفصل عربة ماجد عن العربة الاخرى التي استقلتها سونيا تزيد عن ثلاثة كيلومترات.. وكان عثوره عليها بعد وصوله إلى المحطة التالية يتوقف

على الحظ فقط.. ولأول مرة يحس ماجد أن الحظ لا يقف حليفه في هذه المرة.

فجأة شق الصمت والسكينة اصوات رصاص سريعة متتالية انهمرت كالسيل لتخترق جدار التلفريك، وعلى الفور جذب ماجد الطفل الصغير وسقط معه لاسفل ليحميه بجسده من طلقات الرصاص المتدافعة، على حين ألقى الرجل بنفسه الى الأرضية الخشبية وهو يتأوه بشدة وذراعه تنزف منها الدماء، وزوجته قد اصيبت بهستيريا وهي تصرخ وتبكي.

ومرت ثوانٍ قبل أن يتوقف اطلاق الرصاص.. واطل ماجد بنفسه.. كان التليفريك قد توقف أيضا بعد أن اصابته عدة رصاصات اعطبت اجهزته فتوقف في منتصف المسافة بين المحطتين.. وتلفت ماجد حوله بدهشة.. كانت اقرب قمة لاحد التلال حولهم تبعد ليس اقل من ثلاثة آلاف متر، وهي مسافة لا يمكن أن يصل منها رصاص المدافع الرشاشة مهما كانت قوتها.. ونظر ماجد لاعلى.. كانت هناك طائرة شراعية صغيرة يستخدمها الهواة في التدريب ذات طراز قديم غير شائع تحلق على مسافة قريبة فأدرك ماجد أن الرصاصات انطلقت منها، ودارت الطائرة الشراعية دورة كاملة ثم انطلقت جهة الغرب نحو الجبال البعيدة..

اخذ الرجل المصاب يتأوه بشدة ودماؤه تنزف وزوجته تحاول

ايقاف النزيف بربط ذراع زوجها بقطعة من ذيل فستانها، على حين اخذ الطفل ينتحب بشدة.

وكان على ماجد أن يتصرف بسرعة للحاق بسونيا بأى ثمن، لقد تأكد في تلك اللحظة ان محاولة الاغتيال في الغابة الصنوبرية اثناء السباق كان هو المقصود منها، وها هم يحاولون اغتياله للمرة الثانية بأي وسيلة..وكان عليه ألا يدع سونيا تهرب منه أبداً.. ان الاحداث الاخيرة وخاصة محاولة قتله وهو يتتبعها تثبت أن هناك من يريد ابعاده عن طريقها. وحاول ماجد تشغيل التلفريك بلا فائدة.. وكان انتظار وصول تليفريك اخر لمساعدتهما قد يستغرق وقتا، خاصة وأن احداً على الجانب الآخر لا يدري بما جرى لهم.

وعلى الفور قرر ماجد ان يسلك الطريق الوحيد المتاح له بجرأة نادرة.وبضربة من قدمه قام بتحطيم نافذة التلفريك، وتعلق بحافة النافذة فتدلى جسده لأسفل والأرض تحته تبعد آلاف الامتار.. وحمل ماجد جسده لأعلى، وبحركة بهلوانية بارعة صار فوق سطح التلفريك.. وكانت اسلاكه الصلبة تمتد بأعلى غليظة قوية صاعقة بالكهرباء.

وصاح ماجد بالمرأة داخل عربة التليفريك : ناوليني مظلتي.

وحدقت فيه المرأة بدهشة عظيمة وهي لا تفهم ماذا سيفعل، وصاح فيها ماجد مرة أخرى وهو يحس بأن كل ثانية تمر تبعده عن هدفه.

واسرعت المرأة فمدت له المظلة، وكانت من نوع خاص ذراعها قوي مدعم بألياف من الصلب ومغلفة بطبقة سميكة من الخشب تم صنعها بمعرفة الرئاسة للمهام الخاصة.

امسك ماجد بالمظلة وقفز بقوة فتعلق ذراعها بسلك التليفريك الضخم... وازاح ماجد التليفريك بقدميه بقوة ليعطى لنفسه قوة دفع، وعلى الفور بدأت المظلة في الانزلاق فوق سلك التليفريك العريض يساعدها ميله وقوة دفع ماجد. وحملقت المرأة وزوجها المصاب من داخل التليفريك المعطوب بعيون مذهولة وقد فغرا فميهما عن آخرهما.. وصفق الطفل بسعادة وكف عن البكاء وهو يصيح قافزا ومشيرا إلى ماجد : سوبرمان سوبرمان.. استمر ماجد في اندفاعه السريع وقد تقلصت اصابعه على ذراع المظلة متشبثا بها وهو يحاذر ألا يمس جسده السلك المشحون بالكهرباء وإلا صعقه في لمح البصر.

وكان التليفريك الآخر يتهادى امام عيني ماجد على البعد وقد اقترب من محطة وصوله.. كانت المسافة بينهما لا تزال طويلة.. اكثر من اربعة كيلومترات تتطلب وقتا لقطعها.. واخيرا توقف التليفريك في محطته وكانت لا تزال امام ماجد مسافة لا تقل عن الفي متر للوصول اليه.

ومرت ثوانٍ سريعة لاهثة وماجد يواصل اندفاعه المحموم.. وتضاءلت المسافة سريعا.

وحدق الصبي في سلك التليفريك مستطلعا العربة القادمة ولم يصدق عينيه فصرخ وهو يشير نحو السلك بذهول طاغ.

والتفتت الرؤوس كلها نحو السلك، وكادت عيون المشاهدين تقفز من مكانها وهم يشاهدون ذلك الكيان البشري الخارق المندفع اسفل اسلاك التليفريك بسرعة بالغة وعمل اعجازي.

وقفز ماجد في اللحظة المناسبة فوق الأرض الثلجية أمام المحطة، وعلى الفور تراجع الواقفون وهم يشهقون في ذعر كأنهم يشاهدون شيطانا.. واندفع البعض هاربا صارخا في رعب شديد.

لم يبال ماجد بكل ما حدث، واندفع بسرعة مغادرا المحطة وهو يتلفت حوله باحثا عن سونيا.. ولكن.. لم يكن لها أي أثر في المكان حوله.

* * *

« مسدس طراز وولتر P ٣٨ »

دس ماجد مسدسه في حزامه اسفل سترته الثقيلة، وغادر حجرته هابطا إلى مدخل الفندق العريض.

كان قد وصل الى « بون » منذ يومين، وتوجه من فوره إلى فندق « كارلتون » الواقع في احدى ضواحي العاصمة الالمانية الغربية.

كان ماجد يبحث عن آخر امل قد يصل به إلى البهجوري، واستند إلى الورقة الصغيرة المدون بها اسم الفندق والتي عثر عليها في جيب عدوه القتيل الذي حاول التخلص منه فوق جبال سويسرا..

كان الفندق قديما.. عمره اكثر من نصف قرن ويبدو من الخارج كما لو كان احد القصور القديمة بحوائطه الحجرية الضخمة وحجراته العريضة العالية وحديقته الخارجية الواسعة.. وكانت الخدمة فيه تقليدية واغلب رواده من كبار السن وبعضهم يقيم فيه اقامة كاملة مستديمة.

ومر يومان وماجد بالفندق يقضي اغلب وقته في مدخل الفندق

أو بجوار موظف الاستقبال يراقب القادمين والخارجين أو في الحديقة يشاهد الجالسين للتمتع بالشمس الدافئة التي تبرز بين الحين والآخر من خلال سماء شهر ديسمبر المكفهرة الثقيلة الغيوم .

ولكن كل ذلك لم يؤد إلى شيء .. ولم يكن في المقيمين بالفندق من يمكن أن يتطرق إليه الشك.. وتردد ماجد في الاتصال برئيسه « م » إلى آخر لحظة، ولكنه لم يكن يستطيع ان يقف مكتوف اليدين والايام تمر بلا تقدم خاصة بعد اختفاء سونيا ومصيرها المجهول.

وقام ماجد بالاتصال التليفوني برئيسه بواسطة لغة شفرية فأعلمه بما جرى، فطلب منه « م » أن يأخذ جواز سفر سونيا الذى استولى عليه من حجرتها، والمسدس الذى عثر عليه مع مهاجمه فوق جبال سويسرا، ويذهب بهما إلى عنوان محدد في شارع « كولون » ويتركهما لشخص يدعى « عبد السلام » لفحصهما فربما تؤدي نتيجة الفحص إلى شيء. وكان عبد السلام احد عملاء الفرع الخارجي للعاملين في المانيا، كما كان من انشط العملاء في اوروبا.

غادر ماجد حجرته هابطا على قدميه لاسفل.. وتوقف امام موظف الاستقبال وقال له : سوف اتغيب ساعة أو اكثر.. اذا اتصل أحد بي فأرجو ابلاغه بذلك.

رد الموظف بأدب شديد : سأفعل يا سيدي.

كان ماجد يعرف ان أحداً لن يتصل به، ولكنه أراد لفت نظر أي شخص قد يكون يراقبه إلى خروجه.

واتجه خارجا من الفندق.. وفي الخارج صفعه هواء بارد قارس فأحكم غلق سترته الثقيلة واتجه بنشاط إلى موقف سيارات قريب وطلب من السائق أن يتجه به الى شارع « كولون ».. وكان يطمح أن يجد أحداً يراقبه او يتتبعه من الخلف. ولكن الطريق كان خاليا في ذلك الجو البارد والمساء المتأخر.

اشار ماجد للتاكسي بالتوقف على مسافة من المنزل الذي يقصده، ونقد السائق أجره وشرع يسير في الطريق الخالي.

وبدأ الثلج بالتساقط لثالث مرة ذلك المساء ولكن ماجد لم يحفل به، وألقى نظرة اخيرة للوراء قبل أن ينحرف في طريق جانبي.. ولكنه لم يشاهد أحداً أيضاً. وقاده الطريق الجانبي إلى نهاية منزل، ودق ماجد الباب بطريقة معينة، وبعد لحظة انفتح الباب له وظهر عبد السلام.. أصلع الرأس إلا من مساحة قليلة من الشعر في مؤخرة رأسه وله شارب كثيف وحاجبان غليظان وابتسامة ضيقة وملامح عريضة.

وقاده عبد السلام مرحباً إلى حجرة واسعة بها مدفأة مشتعلة. خلع ماجد معطفه وفرك يديه امام النار وهو يقول : هل توصلت الى شيء ؟ ابرز عبد السلام جواز السفر والمسدس من درج خفي بمنضدة بريئة المظهر تتوسط الحجرة وقال : جواز السفر سليم

ولا غبار عليه.. استعلمت عن رقمه من الشرطة فوجدته صحيحاً.

ــ ان هذا قد يكون في صالح الفتاة.. ان المجرمين لا يستخدمون جوازات سفر سليمة أبداً حتى لا تكشفهم.

ــ ربما.

وفكر ماجد.. ترى ماذا فعلت سونيا بعد ان اختفت عن عينيه في سويسرا.. هل غادرتها بوسيلة ما.. هل بقيت فيها.

وتنهد ماجد.. فقط لو لم يكن قد فقد اثرها.

واستدار نحو عبد السلام.. كان الاخير يرقب حركته وقد علت وجهه ابتسامة عريضة وهو يمسك بالمسدس الكبير بين اصابعه.

قال عبد السلام بدون ان ينتظر سؤال ماجد التالي : ربما تكون اجابة السؤال الذي تبحث عنه في هذا المسدس.

ضاقت عينا ماجد بدون ان يفهم ما يقصده عميل الفرع الخارجي.. واكمل عبد السلام موضحا : هذا المسدس من طراز « وولتر P ٣٨ » وهو طراز بطل استعماله وانتاجه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وبابتسامة واسعة اضاف : ان هذا النوع من المسدسات كان هو النوع المفضل لجيش المانيا الهتلرية.. واستخدمه النازيون وفضلوه عن غيره بسبب مكانته ودقته وبساطة استخدامه.

تساءل ماجد : هل تقول انه بطل انتاج هذا المسدس منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ؟

ــ بالضبط.. والأعداد الموجودة منه قليلة الآن جداً وربما نادرة.

ــ هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين صاحب هذا المسدس.. والنازي ؟

ــ هذه النقطة قد تكون بداية جديدة للبحث.. ان شخصا يستعمل مثل هذا المسدس في مهمة اغتيال ويفضله عن غيره لا بد وانه يعتز به اعتزازا خاصا.. وهذا الاعتزاز لا بد وأن يكون له سبب.

ــ هل يمكن أن صاحبه مثلا كان ضابطا في النازي ؟

ــ هذا احتمال ممكن.

ــ والفندق ؟

تقدم عبد السلام من المدفأة ومد اصابعه المفرودة في قلبها وهو يقول : ان اغلب رواده من العجائز الذين ارتبطوا بهذا الفندق بطريقة أو بأخرى.. خاصة الهركولونيل « جوستاف كارلو ».

ضاقت عينا ماجد وهو يتساءل : هركولونيل ؟

ــ انه ضابط كبير سابق في الجيش النازي.

مرت لحظة من الصمت، وتساءل ماجد ان كان ثمة علاقة بين صاحب ذلك المسدس الذي حاول قتله وبين الضابط النازي المتقاعد ؟

تساءل ماجد : ولكن اغلب ضباط النازيين إما اعدموا أو سجنوا لمدة طويلة باعتبارهم من مجرمي الحرب.

ــ هـذا صحيـح.. ومعلوماتـي الاولية تقول إن الكولونيـل « جوستاف » استطاع اثبات براءته امام المحكمة عن أي جرائم ارتكبها الحزب النازي ولم تكن الادلة ضده قوية بالرغم من تأكد البعض أنه كان مسؤولا عن الافران البشرية التي تم احراق مئات الآلاف فيها من اعداء النازي. فتم سجنه عامين سافر بعدها إلى جهة مجهولة وعاد ليقيم في فندق « كارلتون » بصفة متقطعة.. انه الان يقترب من الثمانين ولكنه يبدو ومع ذلك قويا نشيطا وتبدو عليه بعض مخايل جنون العظمة.

ــ هل لديه محل اقامة اخر ؟

ــ هذه نقطة يتطلب بحثها وقتا.

ــ ومصدر دخله ومعيشته ؟

ــ لا شيء مؤكد، ولكن من الواضح انه على درجة كبيرة من الثراء وينفق عن سعة.. انه يحيط نفسه بجو من الغموض وهو لا يميل للتحدث مع أحد.. وهو يظهر فجأة ويختفي فجأة كما أنه لا يقيم بالفندق حاليا وان كان يحتجز جناحاً دائماً له بنهاية الطابق السادس.

ــ أليس له زوجة... أولاد.. أى اقارب ؟

ــ لا.. انه لم يتزوج وليس له حتى اصدقاء.

تأمل ماجد المسدس الكبير.. ونظر إلى عبد السلام فقال له : تستطيع أن تأخذه.. انه لك.

دس ماجد المسدس في جيبه، وتناول جواز سفر سونيا واخفاه في معطفه، وربت فوق كتف عبد السلام بامتنان قائلا : على الأقل صار لدينا نقطة للبحث.

قال عبد السلام : سابذل كل جهدي لمعرفة إن كان للكولونيل « جوستاف » مكان اخر للاقامة.. هل تطلب رقابته ؟

بلهجة حادة اجاب ماجد : سأفعل ذلك بنفسي.. وساتصل بك إذا احتجت لمعونتك ثانية.

وانسل خارجا بعد أن ارتدى معطفه، وكان الطريق اكثر خلاء وقد تضاعف سقوط الثلج الذي كسا الشارع والاشجار والشرفات بطبقة ناصعة البياض.. واشار ماجد لأول تاكسي واندس داخله في طريقه الى الفندق. ولم تكن هناك اي مكالمات لماجد.. وصعد على الفور إلى حجرته واستقر عزمع على التسلل إلى حجرة الضابط النازي وتفتيشها مهما كلفه ذلك مشقة.. وقرر ان يقوم بمحاولته بعد منتصف الليل حيث تهدأ الحركة في الفندق ويخلد رواده إلى النوم وتقل حركة العاملين به والمشرفين عليه.

وما كاد ماجد يخطو داخل حجرته المظلمة وهو يهم باضاءة انوارها حتى احس بحركة خفيفة فالتفت على الفور، وشاهد شبحا

يكمن في الظلام بجوار الباب وهو يهم بغرس نصل سكين طويلة في صدره.. وعلى الفور تراجع ماجد إلى الوراء فطاشت الضربة، واندفع بكل قوته مصوبا ضربة الى بطن الشبح، ولكن الشبح تفادى الضربة جانبا واحتمى خلف الفراش..

لم يشأ ماجد استعمال مسدسه، كان يريد القبض على مهاجمه حيا فربما يتيح له ذلك القاء بصيص من النور على ظلام القضية التي يسعى خلفها..

كانت الحجرة مظلمة إلا من ضوء يسير يأتي من النافذة المفتوحة التي يعبث الهواء والصقيع بستائرها.

وتقدم الشبح نحو ماجد مهاجما مرة أخرى، وتفادى ماجد حركة الشبح ومال جهة اليسار، وبقبضته اليمنى وجه لكمة قوية إلى ذقن مهاجمه فترنح الشبح إلى الخلف، وسمع ماجد صوت اصطكاك اسنان مهاجمه ببعضها في قوة، وصوت الرجل يسب ويلعن في الظلام.

وتقدم ماجد هذه المرة، وبضربة من قدمه في بطن مهاجمه انحنى الشبح متأوها.. وبلكمة اخرى تحت ذقن الشبح اعتدل على اثرها، وانقض الشبح على ماجد بحركة يائسة وسكينه الطويلة مشرعة للأمام، ولم يستطع ماجد تفادي الحركة في اللحظة المناسبة فانغرز نصل السكين في ذراعه.. واحس ماجد بالسكين تشق ملابسه ويصل نصلها حادا مؤلما إلى لحمه وتصاعدت دماء ماجد وركبه غضب

شديد، وبحركة مباغتة بقدمه اليسرى اطاح بالسكين من ذراع مهاجمه، وبضربة اخرى من قدمه اليمنى قذف بالشبح أسفل النافذة.

اندفع ماجد نحو الشبح الراقد اسفل النافذة.. ولكن مهاجمه اسرع فتسلق النافذة واندفع يسير بلا حذر فوق افريزها الخارجي الضيق.. ودنت من الشبح صرخة يائسة وهو يترنح بعد أن فقد توازنه.. وشاهده ماجد وهو يسقط من الطابق الثالث إلى الحديقة في صوت مكتوم، وجاءت سقطته فوق اكوام الثلج الهش المتساقط الذي خفف حدة سقوطه كثيراً.. نهض الشبح وهو يعرج واندفع يغادر المكان بسرعة والتقطته سيارة كانت تنتظره بأسفل في الظلام.

تم ذلك كله في ثوانٍ قليلة لم تتح لماجد الحركة.. ولكنه برغم ذلك ابتسم في الظلام ابتسامة واسعة.. لقد تأكد أنه في الطريق الصحيح.

واضاء نور حجرته واغلق نافذتها وتطلع نحو ذراعه الجريحة وخلع ملابسه.. كان جرحه بسيطاً فطهره ماجد وضمده.. وحانت منه لفتة إلى محتويات الحجرة فأدرك انها تعرضت لتفتيش دقيق.. ولكنه لم يكن ممن يتركون اشياءهم الهامة عرضة للتفتيش والعبث بها.

وانتبه ماجد الى السكين الطويلة التي تركها مهاجمه خلفه فالتقطها.. وكان أول ما ميزه فيها بوضوح الصليب الاحمر المعقوف المحفور فوقَ قبضتها.. شعار جيش النازي !

لم يسفر تفتيش ماجد لجناح الكولونيل النازي عن شيء، وكان الجناح يتكون من حجرة نوم وصالة استقبال ملحقة بحمام وحجرة مكتب صغيرة.. وكانت الحجرة خالية إلا من بعض الملابس العادية.. ولم يكن هناك حتى ما يدل على ان قاطن الجناح ضابط سابق للنازي.. وكانت الدواليب والادراج خالية وكذلك كان المكتب.. كأنما صاحبها يعلم انها ستتعرض للتفتيش فلم يترك بها شيئا ذا بال.

وفي صباح اليوم التالي استيقظ ماجد نشيطا.. وبالخارج سطعت الشمس تغري بالجلوس في الحديقة الواسعة التي جلس فيها عدد من رواد الفندق وقد خففوا من ملابسهم الثقيلة وهم يثرثرون ويضحكون.

واجرى ماجد اتصالاً تليفونياً مع عبد السلام.. وأجابه الاخير بأنه لا يزال يبحث عن حجر الارنب.

ولم يجد ماجد ما يفعله خيرا من الجلوس في الحديقة وسط الجالسين، وهبط لأسفل واختار مقعدا مواجهاً لمدخل الفندق واسترخى تحت اشعة الشمس. ولم يطل استرخاء ماجد كثيرا عندما شاهد سيارة مرسيدس من طراز قديم تتوقف امام باب الفندق، ويهرع سائقها ليفتح بابها، على حين اندفع خدّام الفندق المختصين بالابواب نحو راكب السيارة الذي كان مشهد استقباله يوحي بأهميته..خاصة وقد كشف صندوق السيارة عن احتوائه لعدد كبير من حقائب الملابس الخاصة بصاحب السيارة.

وما لبث ان هبط من السيارة شخص طويل نحيل في ملابس ثقيلة داكنة.. وكانت ملامح الرجل وتغضن وجهه يوحيان أنه جاوز السبعين أو الثمانين.. ولكن عينيه كانتا تبرقان بريقاً عجيباً متألقاً.. ومن مشيته الثقيلة الحادة التي تستند إلى عصا طويلة من الابنوس الفاخر بمقبض عاجي وحواف موشاة بالذهب، أدرك ماجد أن صاحبها لا شك مصاب بجنون العظمة.

* * *

« اغتيال عبد السلام.. وظهور سونيا ! »

احس ماجد بالحظ يخدمه لأول مرة منذ بداية تلك القضية.. فلم يكن من شك أن ذلك الرجل الذي شاهده يهبط من السيارة هو الكولونيل السابق في الجيش النازي « جوستاف كارلو ».

ولم يطل انتظار ماجد كثيرا، فبعد أن اشرف الرجل على وضع حقائبه في جناحه عاود النزول إلى الحديقة الواسعة واستأثر بمائدة في الركن، وجلس لقراءة الجرائد الصباحية بالالمانية وكان من الواضح انه لا يعير باقي الموجودين في المكان حوله أدنى اهتمام.

كان بالرجل قوة عجيبة.. قوة آسرة برغم مظهره الضعيف ووجهه المغضن ورأسه المجلل بالبياض.

كانت قوته تنبعث من عينيه الآسرتين الرهيبتين.. وكان الخدم يذهبون ويجيئون حوله باهتمام بالغ مما يدل على مكانة الرجل لديهم وأنه سخي كريم بلا شك.

وانقضى الظهر واختفت الشمس خلف عباءة ثقيلة من السحب

المتراكمة فنهض الجنرال العجوز يستند على عصاه الفاخرة ذات المقبض العاجي، وغادر الحديقة إلى الخارج وهو يتكئ عليها ويسير بمهل وتؤدة.

غادر ماجد مكانه بعد لحظات وسار خلف الكولونيل وهو يتظاهر بالتسكع ليحتفظ بالمسافة بينه وبين الرجل العجوز.

استمر الكولونيل في سيره قرابة النصف ساعة، وانحرف في اكثر من شارع يسوده الهدوء ويكاد يخلو من المارة.

وكان الكولونيل يسبق ماجد باكثر من مائة متر ولم يلتفت خلفه ولا مرة واحدة، وكانت مشيته قوية برغم البادي على صاحبها، ويدل على ذلك ثقل الخطوات وانتظامها فوق الارض الثلجية.

توقف الكولونيل واشعل غليونا كبيرا ثم واصل سيره وانحرف في اول منعطف صادفه جهة اليسار.

واختفى الكولونيل لحظة عن عيني ماجد الذي اسرع بالسير خلفه وقد خشي ان تكون حيلة من الكولونيل العجوز للهرب أو الاختفاء.

وما كاد ماجد ينحرف في المنعطف خلف الكولونيل العجوز حتى فوجئ بسيارة سوداء من طراز قديم تندفع نحوه بسرعة كبيرة وصوت عجلاتها فوق الثلج يئز بشدة.

انتبه ماجد وتوقف مكانه.. كانت السيارة تندفع نحوه من الامام بسرعتها الرهيبة كي تصدمه بالحائط خلفه والذي يسد عليه طريق الفرار . واحس ماجد كأنه فأر حبيس في مصيدة، ولم يكن هناك اي وقت حتى لاخراج مسدسه والتعامل مع ركاب السيارة المهاجمة.

وكان على ماجد التصرف في اقل من ثانية، ولمح تندة مدلاة من احدى الشرفات تعلو عن اصابعه بمتر ونصف.. واندفع ماجد قافزا بجسده لاعلى، ولامست اصابعه التندة الكبيرة فتعلق بها وتأرجح بجسده لأعلى في اللحظة التي مرت فيها السيارة بأسفله واصطدمت بالحائط بصوت مدوي. وتراجعت السيارة إلى الخلف فقفز ماجد إلى الامام.. وعلى الفور انفتحت نوافذ السيارة وظهر من كل منها مدفع رشاش، وألقى ماجد بنفسه متدحرجا على الارض ودوى صوت طلقات الرصاص خلفه كالسيل.

تدحرح ماجد مبتعدا عن سيل الرصاص واحتمى خلف احد المباني القريبة واخرج مسدسه لاهثا وصوبه نحو احد الاشباح الظاهرة في السيارة واطلقه.

وسمع ماجد صوت صرخة مكتومة من داخل السيارة، ثم اندفعت السيارة هادرة تغادر المكان وهي لا تلوي على شيء.

تلفت ماجد حوله سريعا.. لم يكن هناك اي أثر للجنرال العجوز، وكان الحائط أمامه مهدما من اصطدام السيارة المهاجمة به.. وادرك

ماجد أن صوت الرصاص لا بد سيجذب رجال الشرطة فأسرع يغادر المكان من الجهة الخلفية.

قطع ماجد المسافة التي تفصله عن الفندق بسرعة وقد اشتد تساقط الثلج وهو يتساءل، هل كان خروج الجنرال خدعة لجذبه بعيدا حيث يتم اغتياله بلا شهود.. هل كانت السيارة التي هاجمته هي سيارة الكولونيل العجوز ؟

لم يكن لدى ماجد أدنى شك في أن السيارة المهاجمة لها علاقة بالكولونيل النازي السابق، وأن الامر كله مرتبط باختطاف البهجوري وإن كان يحيطه الغموض من كل جوانبه.

وامام باب الفندق كانت سيارة الكولونيل قابعة في هدوء بلا ضرر.. اما الكولونيل فكان جالسا في مدخل صالة الفندق وقد ارتسمت في عينيه نظرة ثعلبية ماكرة وهو يرقب ماجد اثناء دخوله إلى الصالة.

وتلاقت الابصار.. وتوقف ماجد لحظة وهو يحدق في الذئب النازي الذي كان يبتسم ابتسامة ساخرة واسعة كانما ينبئ غريمه أن هذا هو المصير الذي ينتظره في النهاية.

وارتسمت فوق شفتي ماجد ابتسامة واسعة عريضة ساخرة، كأنه يرد على ابتسامة الكولونيل بما معناه أنه لا يخشى مثل هذه الالاعيب. وتقدم ماجد يسأل موظف الاستقبال ان كانت هناك رسائل فاجابه

الموظف بالنفي، وظهرت عليه الدهشة وهو يشاهد ملابس ماجد المبللة من سقوطه فوق الارض وتدحرجه وشكله المشوش فسأل ماجد : هل حدثت مشكلة معك يا سيدي ؟

رد ماجد ساخراً وهو ينظر تجاه الكولونيل العجوز : لقد حاول احد الثعالب اصطيادي.. وهم لا يعلمون أن عملي هو صيد الثعالب وسلخ فرائها. واتجه صاعدا إلى حجرته وقد ترك موظف الاستقبال حائراً يحدق فيه بدهشة بالغة بدون أن يفهم شيئا، على حين ارتسمت نظرة قاسية متجهة فوق وجه الكولونيل العجوز.

وفي الاعلى وجد ماجد عبد السلام في انتظاره وقد خلع قبعته ومعطفه وجلس امام المدفأة الكهربائية الكبيرة، فحيا ماجد وهو يتأمل ملابسه قائلا : يبدو أنه كانت هناك معركة اخرى في الخارج.

رد ماجد : إنها المحاولة الرابعة لقتلي.. ولست اشك هذه المرة أن المحاولة الاخيرة مرتبطة بوصول الكولونيل العجوز إلى الفندق.

ـــ أهي مجرد محاولة تهديدية فقط لاقناعك بالانسحاب ؟

ـــ لا.. لقد كادوا يقتلونني بالفعل لولا حسن الحظ.

ابتسم عبد السلام وهو يراقب ماجد يخلع ملابسه المبللة ويبدلها بأخرى جافة وقال له : إن عملنا لم يكن يعتمد على الحظ الحسن أبداً يا صديقي، انك تدين بحياتك إلى مهارتك وليس إلى أي شيء آخر. وساد الصمت لحظة وماجد واقف امام المدفأة الكهربائية

الكبيرة، واقترب منه عبد السلام وقدم له خريطة صغيرة مليئة بالأسهم والنقاط والاشجار ويقع في قلبها مسكن صغير.

ألقى ماجد نظرة إلى الخريطة مندهشا ورفع عينيه إلى عبد السلام الذي قال : هذا هو مكان اقامة الكولونيل العجوز.

عاود ماجد النظر إلى الخريطة وهو يقول : انها تشبه بيت جحا.. انه كثير الدهاليز والسراديب.

ــ هذا صحيح بالفعل.. وان كانت الدهاليز والفخاخ التي تحيط بمنزل الكولونيل من النوع القاتل.. انه يقيم في عزلة تامة بمنزل يقع على مساحة تقارب المائة الف متر.

صفر ماجد بشفتيه قائلا : مائة الف متر.. لا بد ان هذا الكولونيل ثري جدا.

ــ الامر ليس كذلك تماما.. ان المنزل لا يحتل اكثر من مساحة عشرة الاف متر، أما الباقي فهو عبارة عن معسكر كبير يحيط بالمنزل وتطوقه الاسوار الشائكة والاشجار العالية والحراس المسلحون بحيث لا يجرؤ مخلوق على الدنو منه.. بل ان الفخاخ تمتد خارج المنزل وللكولونيل عيون بعيدة ترصد له اي محاولة للاقتراب من منزله.

تساءل ماجد باهتمام : واين يقع منزل هذا الذئب ؟

ــ انه يقع في قلب الغابة السوداء بالجنوب الالماني.

تمتم ماجد بعيون ضيقة : الغابة السوداء ؟

ــ انها مكان لا يود الكثيرون الذهاب اليه.. فهي غابة كثيبة مقفرة متشعبة تمتد إلى مساحة كبيرة، وهناك جزء كبير قد اتت عليه الحرائق فبدت الأشجار المحترقة فيه كأنها اشباح سوداء قبيحة المنظر.. وفي وسط هذا المكان البشع يقع بيت الكولونيل الواسع وحراسه الاشداء.

تساءل ماجد : وما الذي يحرسه هؤلاء الحراس ؟

هز عبد السلام كتفيه قائلا : من يدري.. إن أحداً لا يعرف على وجه التحديد، لأن أحداً لم يجرؤ من قبل على الدنو من المكان الذي يعتبر قلعة حصينة، وحتى المسؤولون في المنطقة لا يحبون التدخل ما دام الكولونيل يعيش في حاله ولا يسبب مضايقات لاحد.

وبلهجة ذات مغزى اضاف : لم يكن الحصول على هذه المعلومات والخريطة سهلا.. لقد استقيتها من مصادر عالية جدا.. وكان ثمنها عاليا ايضا. مرت لحظات من الصمت وماجد يتطلع إلى الخريطة بعيون مفكرة، ثم رفع عينيه إلى عبد السلام قائلا : يبدو أنه لا مفر من زيارة ذلك المنزل في قلب الغابة.

ــ هذا شيء تحدده أنت بنفسك.

وارتدى عبد السلام قبعته السوداء العريضة ومعطفه الازرق وهو يقول : هل تحتاج إلى شيء آخر ؟

ربت ماجد على كتف زميله شاكرا وهو يعده بالاتصال به إذا

ما احتاج إلى شيء آخر.. واتجه عبد السلام خارجا من الحجرة واغلق الباب خلفه. وشرع ماجد يتطلع إلى الخريطة الصغيرة وهو يتأمل اسهمها العديدة ومداخلها ومخارجها.. وكانت متشابكة كثيرة الخطوط والتعرجات بدرجة عجيبة، ولكن ماجد كان يتمتع بذاكرة كربونية فاستطاع أن يلم بالكثير من تفاصيلها في وقت قليل.

وفجأة تعالى من الخارج صوت طلقات رصاص سريعة، فقفز ماجد من مكانه نحو النافذة وشاهد سيارة سوداء مقفلة تندفع هاربة بعيدا عن مدخل الفندق، على حين ارتمى شخص فوق الارض في معطف ازرق وتدحرجت معه فوق الثلج قبعة سوداء عريضة.. وكان واضحا ان هناك رصاصات عديدة قد انطلقت من ركاب السيارة السوداء واستقرت في قلب صاحب المعطف والقبعة فتركته بلا حياة فوق قارعة الطريق.. ولم يكن هناك من شك ان الشخص الراقد فوق الثلج هو عبد السلام.

هتف ماجد بغضب جامح : يا للسفلة.. لقد اغتالوا عبد السلام. واندفع كالمجنون يغادر حجرته قافزا السلالم إلى خارج الفندق، وانحنى فوق جسد عبد السلام الذي اخترقته ثقوب عديدة.. واحتضن ماجد الرجل بقوة، ورفع عبد السلام عينين ذابلتين وهو يصارع الموت، وبصوت واهن همس : انهم هم .. لم أكن ماهراً في صيد الثعالب فاصطادوني.

هتف ماجد بصوت مرير : لسوف اسلخ لك جلودهم واقطع



رقابهم.. اقسم لك. شاعت ابتسامة واهنة على وجه عميل القسم الخارجي، ثم خبا بريق عينيه وسقط رأسه فوق ذراع ماجد.

وانفجر في قلب ماجد بركان من الغضب، وتقلصت اصابعه كالفولاذ وسأله احد المجتمعين : هل تعرف هذا الرجل.. هل هو صديقك ؟

نهض ماجد وهو يقول : لا.. انني طبيب وظننت انني استطيع المساعدة.. لقد مات.. تستطيعون أن تستدعوا له سيارة الموتى فلا فائدة من استدعاء سيارة الاسعاف. واستدار ماجد فوقع بصره على وجه الكولونيل العجوز واقفا امامه وهو يدخن غليونه في سكون، وقد ارتسم في عينيه الذئبتين تعبير عارم من السرور والوحشية والتشفي.

تمالك ماجد نفسه.. لقد اقسم على الانتقام ولسوف ينتقم لمصرع زميله.. ولكن الوقت والظروف لم يكونا سانحين لانتقامه.

وببطء تقدم نحو مدخل الفندق في نفس اللحظة التي لمح فيها وجه سونيا ! توقف ماجد ذاهلا وهو لا يصدق عينيه.. كانت سونيا تهبط من سيارة تاكسي امام مدخل الفندق.. وما ان وقع بصرها على ماجد حتى شحب وجهها واصابها الفزع، واسرعت تندس داخل التاكسي مرة اخرى وتأمر سائقه بالسير في صوت مضطرب.. وعلى الفور اندفع ماجد نحو السيارة في اللحظة التي تحركت فيها. وتعلق ماجد بباب السيارة التي اندفعت بسرعة للامام وهي تجره

خلفها. وتعلقت ابصار رواد الفندق الملتفين حول جسد عبد السلام المسجى بالمشهد الغريب إلى أن غابت سيارة التاكسي عن ابصارهم.

تشبث ماجد بالباب المفتوح باصابع فولاذية وهو يتحاشى أن تسقط قدماه أسفل عجلات السيارة.. وفجأة احس أن شخصا يغلق زجاج الباب من الداخل.. وكانت اصابع ماجد مهددة بأن تُحشر في نافذة الباب وتتحطم.

قفز ماجد من السيارة في اللحظة المناسبة قبل انغلاق الزجاج تماما، وكانت قفزته مؤلمة قاسية فتدحرج على الأرض الثلجية بقوة وأحس كأن كل جزء في جسده قد تحطم من جراء السقطة المؤلمة القاسية.

وما كاد يرفع رأسه حتى أحس بخبطة شديدة تهوي على رأسه فسقط فوق الارض وقد اختلطت الاشياء امام عينيه.

وكان آخر ما ميزه قبل أن يفقد وعيه تماما سيارة سوداء لها مقدمة منبعجة وهي تقترب إلى يساره ويهبط منها ثلاثة رجال اشداء في معاطف قاتمة حملوه بين اذرعهم ومددوه فوق المقعد الخلفي، ثم انطلقت به السيارة إلى وجهة مجهولة.

* * *

« عرين النازي »

خطا الكولونيل العجوز داخل الحجرة الواسعة التي احيطت نافذتها بقضبان حديدية غليظة. أما باب الحجرة فكان يقف على حراسته حارسان مدججان بالمدافع الرشاشة السريعة الطلقات وقد علقت فوق اكتافهم شارة النازي ذات الصليب الاحمر المعقوف.

وعندما خطا الكولونيل الى الداخل ارتفعت ايدي الحارسين بالتحية النازية الشهيرة : « هاي هتلر ».

وتوقف الكولونيل امام الفراش العريض الذي تمدد جسد ماجد القوي فوقه. وتأمله الكولونيل لحظة ثم قال بالالمانية بلهجة اهل بافاريا : إن له جسدا رائعا متناسقا.. ومن المؤسف ان صاحبه لا تجري في عروقه الدماء الالمانية.
والتفت إلى الفتاة الشقراء ذات النمش بجواره قائلا : أليس كذلك يا عزيزتي سونيا ؟

كانت الفتاة ترتعش بشدة وقد شحب وجهها، وقال لها الكولونيل

العجوز وهو يربت فوق شعرها الكستنائي القصير : لقد أديت عملا طيبا.. لولاك ما اصطدنا هذا الفتى إلى هنا.

وجاء صوت غليظ أجش متسائلاً من الخلف: ألن نتخلص منه يا سيدي الكولونيل ؟

التفت الكولونيل العجوز إلى الوراء، وكان مساعده السابق السيرجنت« بريخت » واقفا بوجهه الاحمر الدموي وشاربه الاحمر الكبير ومقدمة رأسه الصلعاء والبذلة العسكرية ذات الشعار النازي.. كان في حوالي السبعين من عمره ولكنه كان عريضا قوي البدن مفتول القوة.

رد الكولونيل : لا.. لو كنت اريد قتله ما تجشمت عناء نقله إلى عريننا.. انني اريد الحصول على بعض الاجابات منه أولا.

وخطا خارج الحجرة وهو يقول : عندما يستيقظ اعلموني على الفور.. ولا تجعل الحراسة تغفل عنه لحظة واحدة فهو ثعلب ماكر واسع الدهاء.

وصلت العبارة الاخيرة إلى ذهن ماجد بصوت مختلط مشوش، ولكنه لم يتحرك أو يفتح عينيه.. وسمع صوت خطوات الكولونيل وهي تغادر المكان وتبعها صوت خطوات خفيفة مضطربة أدرك ماجد انها خطوات نسائية وقد تكون لسونيا.

وبدا ذهنه يصفو ويستعيد نشاطه بسرعة.. لقد كانت عملية السيارة

وظهور سونيا خدعة أرادوا بها ابعاده عن الفندق وخداعه وأسره حيا وقد نجحوا في ذلك.. ولا شك انه يرقد داخل منزل الكولونيل في « الغابة السوداء » بعيدا عن أي رقابة، وان الفضل في عدم التخلص منه يرجع إلى رغبة الضابط النازي العجوز في الحصول على اجابة بعض الاسئلة منه، ولهذا استبقاه حيا لحين الحصول على ما يريد من اجابات. ووضح له اخيرا وبطريقة مؤكدة ان سونيا ضالعة مع تلك الزمرة في اعمالها وان العالمْ .المصري البهجوري موجود في هذا المنزل بمكان ما.

وتذكر ماجد زميله عميل الفرع الخارجي بالمانيا.. عبد السلام، وكيف تمكن اولئك المجرمون من اغتياله امام باب الفندق وقسم له قبل وفاته أن ينتقم له فعادت دماؤه تشتعل.

فتح ماجد عينيه ببطء.. وكان أول ما طالعه الوجه الدموي العريض ذو الشارب الاحمر الكث والعينان الواسعتان الزرقاوان بلون مياه البحر العميقة. وعلى الفور التقطت عينا ماجد شارة النازي على كتف السيرجنت السابق وفي مقدمة كابه العسكري.

قال السيرجنت السابق من بين اسنانه : ها قد استيقظت أخيراً أيها القذر..

ابتسم ماجد وهو يحس بشيء من الصداع يغزو رأسه وقال للرجل الواقف امامه : ان طريقتك في الترحيب بالضيوف مؤثرة حقا أيها الهر. جز السيرجنت على اسنانه وهو يقول : لسوف تجد

من الترحيب اهوالاً في هذا المكان قبل أن تأكل الكلاب جثتك عقابا لك على قتلك ابرع رجالي.

ماجد : اذن فقد كان قائد الزحافة فوق الجبال السويسرية من رجالك..كان يجب أن ادرك ذلك منذ البداية ما دام قد تخطى السبعين مثلك.. انني اقدم خالص عزائي لك ايها الرفيق، وإن كان هذا هو مصير الاغبياء دائما، ولست اشك في أنها سوف تكون نهايتك انت ورجالك ايضا ما دمتم قد تحالفتم مع الغباء والجنون في هذا المكان..

ظهر غضب متأجج في عيني « بريخت »، وبحركة لا ارادية اختطف مسدسه الكبير من جرابه وصوبه نحو ماجد الذي قال له بهدوء : لا اظن أن ذلك سيعجب الهر « جوستاف » وسيكون فيه تمام الاثبات على الغباء المنقطع النظير الذي تتمتع به !

حدق « بريخت » في عيني ماجد بعيون تومض نارا.. وتراخت ذراعه إلى أسفل ببطء، وقال ماجد وهو ينظر في عيني السيرجنت العجوز ساخرا ويشير إلى سلاحه : مسدس الماني من طراز« وولتر p ٣٨ ».. لقد كان ضباط النازي في جيش هتلر يستعملونه وقد بطل انتاجه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن الغريب أن اجد هذا المكان مملوءاً بمن يستخدمون هذا المسدس القديم وكذلك المدافع الرشاشة القديمة من ايام الحرب العالمية الثانية والسيارات

السوداء ذات الطرازات القديمة.. اشياء عديدة يوحي بها جو وأشخاص هذا المكان.

فجأة جاء صوت من احد اركان الحجرة بالسقف يقول : ملحوظة ممتازة أيها العميل.. انها تدل على شدة ذكائك وانتباهك.

عرف ماجد أن المتحدث هو الكولونيل العجوز، وواصل الكولونيل حديثه قائلا : كنت اتوقع استنتاجك شيئا من هذا.. ولهذا فانت لا تزال حيا. قال ماجد ساخرا: انك شديد التفاؤل ايها الكولونيل اذا كنت تظن انك ستلقى منى اجابات لأي اسئلة تجول في ذهنك.

قال الكولونيل بصوت هادئ : انني دائما أتلقى اجابات على اسئلتي.. والا فما فائدة اختراع افران الغاز ؟

ساد الصمت لحظات وضاقت عينا ماجد وارتسمت ابتسامة ساخرة فوق الوجه الدموي ذي الشارب الاحمر للسيرجنت « بريخت »، وعاد صوت الكولونيل يقول : سيكون ممتعا لأن اصحبك في جولة بهذا المكان لترى بنفسك استعدادتنا وطرقنا المستحدثة..« سيرجنت بريخت ».

ارتفعت ذراع السيرجنت في حركة فورية لأعلى هاتفة بالتحية النازية التقليدية. وجاءه صوت الكولونيل : احضر السجين إلى الخارج.

اشار السيرجنت برأسه إلى ماجد فغادر فراشه، وارتدى حذاءَه وهو يحاول أن يكسب اكبر وقت ممكن للتفكير في هذا المكان الذي لم يدخله غريب من قبل، ولا يدري احد في هذا العالم شيئا عنه عدا رجال الكولونيل وحراسه.

خطا ماجد خلف السيرجنت، وعلى الفور ظهر حارسان من خلفه وقد صوبا رشاشاتهما نحو ظهره.

وسارت المجموعة في ممر عريض فصادفهم عدد من الحراس الآخرين، ولاحظ ماجد شيئا أدهشه، كان الحراس جميعا ممن جاوزوا الخامسة والستين أو السبعين من اعمارهم، وكانت اسلحتهم كلها من طراز قديم مما كان يستخدمه جيش هتلر.. ودارت في ذهن ماجد اسئلة عديدة متلاحقة. وانتهى السير خارج المبنى الى ساحة متسعة يشرف عليها عدد كبير من الحراس المدججين بالسلاح، وكان الكولونيل واقفا بزيه العسكري النازي في الخارج وقد تقلصت عيناه بتعبير بالغ القوة والصرامة وتخلى عن عصاه التي يتكئ عليها وبدا عليه كأنه ارتد شاباً إلى نصف عمره.

تقدم الكولونيل العجوز من ماجد قائلا : سآخذك في جولة قصيرة أولا.. وبعدها سيكون لنا حديث خاص.

واشار بيده فتقدمت منهما سيارة جيب عسكرية صغيرة عليها شعار النازي المعقوف، وجلس الكولونيل في المقعد الخلفي وماجد

بجواره، على حين تابعتهما من الخلف سيارة مدججة بالحراس المسلحين ومدافعهم الرشاشة مصوبة نحو رأس ماجد لتحصده حصدا عند أي محاولة للمقاومة أو الفرار. تجاوزت السيارة اسوار المنزل وعبرت بوابة صغيرة يقف على حراستها عدد من الجنود المسلحين، وانطلقت في قلب بعض الاشجار العريضة. كان الوقت نهارا ولكن المكان بدا شبه معتم بسبب كثافة الاشجار على الجانبين.. واقتربت السيارة من مكان قد وقف فيه عدد من الجنود لا يقلون عن المائة يتلقون أوامرهم من احد الضباط، ثم صاحوا جميعا بتحية النازي، وسرعان ما انقسموا إلى فريقين راحا يتقاتلان بالأسلحة البيضاء والمصارعة الحرة والكاراتيه.

وفي مكان آخر كانت هناك مجموعة أخرى تتدرب على اطلاق الرصاص على لوحات نيشان بعيدة حملت وجوه تشرشل وديغول وروزفلت وستالين ! ومن ركن بعيد سُمع دوي انفجار قنابل، واقتربت السيارة واضاءت كشافاتها ليظهر خلف مجموعة دائرية من الاشجار مجموعة من الجنود يقتحمون مبنى هيكلي ويفجرونه بالقنابل في عملية تدريبية لاقتحام أماكن مشابهة.. كما كانت هناك بعض الدبابات الالمانية القديمة تتحرك هنا وهناك مصوبة مدافعها وداناتها مشاركة في المعركة القصيرة.. على حين كان عدد من المصفحات يقوم بمناورة قريبة.

التفت ماجد إلى الكولونيل في صمت، لقد بدأ يفهم ما يدور

في المكان، وقال الكولونيل وقد عادت السيارة تقطع بهم الطريق إلى حافة المكان : انك من الذكاء أيها العميل بحيث لا تحتاج لشرح ما يدور في هذا المكان السري.

ماجد : يبدو أن الحرب لم تنته بالنسبة للبعض.

تألقت عينا الكولونيل بوميض حاد مخيف وهو يقول : ان المانيا لم تُهزم ولن تُهزم أبداً.. ان الحرب لم تنته.. لسوف تكون هناك جولة اخرى، وها انت ترى استعدادنا لها.

ادرك ماجد انه امام احد مجانين الحرب، وقرر أن يجاريه ليعرف اسرار ما يدور حوله. فسأل الكولونيل العجوز : اذن فأنت تطمح في اشعال نيران الحرب مرة أخرى ؟

ــ هذا مؤكد.. لسوف تحارب المانيا اعداءَها مرة أخرى وسوف تنتصر هذه المرة وتصير هي القوة العظمى الأولى في العالم ويصير الامريكيون والروس مجرد تابعين لها.

قال ماجد ساخراً : هل ستحاربون العالم بهـذا الجيش من العجائز ؟ انتفض الكولونيل غاضبا : انهم من خيرة جيش هتلر وهم من اخلص المخلصين لالمانيا النازية، ونحن نحلم جميعا باللحظة التي نسترد فيها نصرنا منذ اكثر من اربعين عاما.. لقد باع الجميع كل املاكهم لشراء هذا المكان وتجهيزه واختاروني قائداً لهم ولن اخيب املهم ابداً.

وتألقت عينا الكولونيل بذلك الوميض المخيف وهو يقول : وعندما تشتعل الحرب ثانية فلسوف ينضم إلينا الجميع مرة اخرى لعودة المانيا العظمى.

وتوقفت السيارة امام معسكر تحيطه الاسوار وتتناثر بداخله بعض الأكواخ البدائية القذرة ويحيطه الحراس من كل جانب، وقال الكولونيل : هذا المعسكر سيصبح مخصصا للاسرى من الاعداء. لسوف يجدون طعامهم اوراق الشجر وشرابهم مياه المجاري.

واستدار إلى بناء كالح كئيب المنظر إلى اليسار وقال بعيون ترتعش جنونا : أما هذا المبنى فبداخله أفران الغاز.. انه شيء لا يمكن لحربنا أن تستغني عنه لابادة الخونة.

ادرك ماجد أنه امام مجنون لا شك في جنونه، وأن الرجل وعصبته من الضباط والجنود الالمان الذين حاربوا في الحرب العالمية الثانية والتي انتهت بهزيمة المانيا لا يزالون يطمعون في اشعال نيران الحرب مرة اخرى بأهوالها وفظائعها لتحقيق النصر المجنون. وقرر ماجد ان يقترب من هدفه فقال للكولونيل العجوز والسيارة ترتد بهم عائدة : ولكن لماذا اختطفتم العالم المصري البهجوري أيها الكولونيل ؟

ارتسمت ابتسامة واسعة فوق شفتي الكولونيل ورمق ماجد بنظرة طويلة كأنما يستشف ما يدور في ذهنه، ثم القى ببصره بعيدا وهو يقول : ان عالمكم المصري هو مفتاح النصر لنا.. ان اكتشافه للغاز

المسمى « بيتاديل » كان هو الشرارة التي اذنت ببداية مهمتنا المقدسة التي انتظرناها سنين طويلة.

ـــ اذن فأنتم تطمعون في الحصول على اسرار تركيبة الغاز من البهجوري لاستخدامها في حربكم ؟

تلاعبت ابتسامة واسعة على شفتي الكولونيل وهو يرد : بالضبط.. إن هذا الغاز سيتيح لنا نصرا حاسما في بداية حربنا القادمة.. فنحن كما ترى قليلو الاسلحة والعتاد، لذلك فنحن بحاجة إلى سلاح حاسم لكسب الحرب القادمة.. وهذا الغاز الرهيب سوف يمكننا من هزيمة أي جيش في العالم مهما كان حجمه او عتاده بأيسر الطرق.. فقط القاء قنابل الغاز فوق فلول هذا الجيش فيتحول أفراده الى قطيع من الحيوانات المستأنسة.

وانطلق الكولونيل العجوز يضحك بشدة وقد اهتز كل بدنه من تأثير الانفعال، وتلفت ماجد للخلف فشاهد فوهات الرشاشات المصوبة نحوه من السيارة الاخرى تعجزه عن التصرف.

عاد ماجد يسأل الكولونيل : اذن فالبهجوري في قبضتكم ؟

ـــ هذا صحيح تماما.. لقد كاد أن ينتهي من اعادة كتابة معادلاته وتحضير الغاز.

وبلهجة خاصة أضاف : انك لا تدري أي الوسائل نستعملها هنا لارغام من نريد منهم أن يفعلوا ما نريده. وحدق في ماجد

بنظرة حادة وأضاف : لقد تتبعناك منذ كنت في سويسرا .. كنا نريد القضاء عليك ولكن خططنا تغيرت الآن والفضل يعود إلى سونيا.

ماجد : اذن فسونيا ليست سوى احد عملائكم.. من العجيب أن أجد فتاة شابة وسط مجموعة من العجائز في هذا المكان.

ـ من الضروري أن تكون هناك دماء شابة.. لقد كان اداؤها رائعا عندما عملت كمساعدة للبهجوري ثم خدعت الشرطة والمخابرات الالمانية وسافرت إلى سويسرا ثم خدعتك انت الآخر وهربت منك وها هي أتت بك إلى هنا.. لسوف يكون شيئا رائعا عندما اتزوجها بعد أن تنتهي الحرب وننتصر فنحكم العالم بقبضة حديدية مع زعيمنا العظيم هتلر.

هتف ماجد ساخرا : هتلر.. اتنتظر ان يحكم هتلر العالم معك.. لقد انتحر هتلر في نهاية الحرب العالمية عندما تيقن من هزيمة المانيا واكتساح جيوش الحلفاء لارضها.

حدق الكولونيل في وجه ماجد ساخرا وقال : انك غبي كالآخرين.. لقد كانت تمثيلية الانتحار خدعة من زعيمنا.. ان هتلر حي وسيقود الحرب بنفسه !

* * *

« حكم بالاعدام »

التفت ماجد الى الكولونيل العجوز فوجد عينيه تشعان بريقا مجنونا، واكمل الكولونيل بصوت كالفحيح: ان الجثة التي عثروا عليها في قبو هتلر وظنوها جثته بعد انتحاره ليست حقيقة.. لقد كانت حادثة الانتحار خدعة من الزعيم ليختفي عن انظار العالم.. ان هتلر حي في مكان ما في هذا العالم الواسع، وسوف يعود إلينا بعد أن يعلم أننا ننتظره وأننا حصلنا على السلاح الذي يمكّننا من هزيمة العالم كله.. الشرق والغرب.. الروس والامريكان واوروبا والعالم كله.

لم ينطق ماجد بحرف وادرك انه يواجه رجلا مجنونا لا يزال يعيش في اسر الماضي وذكرى الانتقام.

وعادت السيارة بهما إلى المنزل مرة أخرى، وهبط ماجد وخلفه الكولونيل العجوز الذي قاده إلى حجرة واسعة رُصت فيها مختلف انواع القوارير والمواد الكيماوية واجهزة معقدة وشاشات كمبيوتر الكترونية..

وشاهد ماجد البهجوري العالم المصري المختطف وهو واقف امام بعض القوارير يصب مواد كيماوية فوق اناء صغير بأسفله سخان كهربائي متصل سلك في نهايته بأحد الاجهزة الالكترونية.

اقترب ماجد من البهجوري في صمت.. كان الرجل يبدو ذاهلا غير واع لما يدور حوله.. عيناه شاردتان ذاهلتان وشفتاه ترتعشان كما لو كان مصابا بالحمى.. وكانت هناك خدوش عميقة في وجهه وآثار جروح في يده، وبعض اصابعه متقرحة خالية من الاظافر.

استدار ماجد الى الكولونيل العجوز غاضبا فقال الكولونيل باسما : لقد بذلنا مجهوداً لاقناعه بالتعاون معنا.. و ها أنت ترى النتيجة.. انه لو لم يعد إلى رشده لكان مصيره أفران الغاز.

ادرك ماجد أن البهجوري قد تعرض لتعذيب بشع اجبره على التعاون مع هؤلاء المجانين.

وقال الكولونيل العجوز وهو يقود ماجد إلى باب حجرة مجاورة : والآن سترى شيئا قد بحثت عنه طويلا.

وفتح الباب فظهرت قاعة اخرى مليئة بقوارير مشابهة للاولى، وكان هناك شخص في معطف ابيض استدار فتعرف فيه ماجد على سونيا.

قال الكولونيل : ما رأيك في هذه المفاجأة اللطيفة ؟

رمق ماجد سونيا ساخرا وقال : انني اشهد لها بالبراعة فقد

استطاعت خداع الشرطة والمخابرات الالمانية وضللت الجميع.. حتى انني خدعت بعض الوقت ببراءتها.

ــ ان لنا وسائلنا في خداع الجميع.. ولم يكن سهلا اقناع البهجوري بأن تعمل سونيا لديه كمساعدة في معمله برغم نبوغها في الكيمياء.. كما لم يكن سهلا خداع الحكومة الالمانية ثم جذبك إلى الفخ الذي اعددناه لك ونفذته سونيا بمهارة.

ألقى ماجد نظرة مقطبة نحو الفتاة فجاوبته بنظرة صامتة منكسرة حزينة، ولكنه اشاح عنها بوجهه في احتقار.. كانت ممثلة بارعة بلا شك. وقال الكولونيل بابتهاج : لقد اوشكت التجارب على الانتهاء وقريبا.. قريبا جدا وربما الليلة ستكتمل النتائج ونحصل على الغاز.

وقهقه بضحكة عالية مجنونة وعيناه ملتمعتان ببريق طاغ.. وأشار الكولونيل بيده إلى ماجد فاتجه خارجا في صمت والضابط النازي العجوز خلفه.

وقاده الكولونيل إلى حجرة واسعة مريحة قد توسطتها صورة كبيرة لهتلر على حين وقف ثلاثة حراس بمدافعهم الرشاشة في أركان الحجرة ومدافعهم مصوبة إلى ماجد، وامامهم السيرجنت بريخت قد وضع يده على جراب مسدسه، وعيناه تشعان حقداً على ماجد.

صب الكولونيل لنفسه كأساً والتفت إلى ماجد وهو يحتسيه قائلا :والآن يا عزيزي، وبعد أن رأيت جيشنا الصغير واستعداداتنا للنصر، ترى ما الذي يمكن أن تفيدنا به ؟

اجاب ماجد ببرود : لا أدري عمّا تتحدث.. هل تنتظر مني أن أساعدك في خيالاتك المجنونة ؟

ــ لا بد أنك تدين لي لانك لا تزال حياًحتى الآن.. إن الفضل لا يرجع إلى رغبتي في ذلك، ففي الحقيقة فان صحبتك تؤرقني لانني لا أحب الغرباء خاصة اذا كانوا من غير الالمان.

قال ماجد ساخرا : هذا واضح تماما يا سيدي.. ولا شك أنك تكن لي تقديرا خاصا وإلا ما حاولتم قتلي بوسائل متعددة وفي أماكن عديدة.

تفحص الكولونيل وجه ماجد وقال بلهجة متعالية : لقد ابقيتك على قيد الحياة لتخبرني إلى أي مدى تعرف السلطات الالمانية معلومات عنا.

نظر ماجد إلى الكولونيل العجوز بصمت ولم يرد.. وواصل الضابط النازي : إن صديقك الذي قتلناه امام باب الفندق كان يعرف الكثير وكان على اتصال بالمسئولين في الحكومة الالمانية.. ولا شك أنك أفضيت إليه بالكثير عني وعن تفتيشك لحجرتي.. ولا شك أن بعض هذه المعلومات وعلاقتي بالمسدس الذي عثرتم

عليه مع السيرجنت القتيل في سفوح جبال سويسرا، كل هذا لا بد أنه وصل الى الحكومة الالمانية.. فما هي حدود المعلومات التي افضيتم بها إليهم ؟

ـــ ستكون واهما اذا ظننت انني ساعاونك بشيء ما. قالها ماجد بحدة.

قال الكولونيل وهو يحتسي كأسا آخر : وسيكون من الغباء أن ترفض الاجابة على اسئلتي.. لقد رأيت البهجوري وما فعلناه به.. ولدينا دائما وسائل مبتكرة لمعرفة ما نرغب فيه.. ولا أظن انك تحب أن تُشوى حياً على نار هادئة أو أن تتعرض للصعق بالكهرباء في عينيك الواسعتين، أو أن ننتزع منابت شعرك ونكوي رأسك بالنار أو أن نقتلع اظافرك بكماشة.. أو حتى نجبرك على السير حافيا فوق جمر مشتعل، ولا أن نقطع انفك واذنيك بمنشار بطيء.. ان لدينا العديد من الوسائل لحل عقدة لسانك فما هو ردك ؟

ـــ ليس لدي سوى رد وحيد أيها الكولونيل.. سوف اتمتع بمنظرك وانا أشاهدك في القميص الابيض الذي يرتديه نزلاء مستشفى الامراض العقلية الخطرين !

انفجر الغضب في عيني الكولونيل وصرخ في حراسه : اقبضوا على هذا الوقح والقوه حيا في افران الغاز.

على الفور انقض الحراس الثلاثة والسيرجنت بريخت على ماجد

واحاطوا به شاهرين مدافعهم الرشاشة، واقتادوه خارجا وصـوت الكولونيل يأتي من ورائه : أيها الغبي لا تنسَ أن تبلغ تحياتي لكل من تقابلهم في الجحيم !

* * *

«فخاخ وشراك.. ودبابات ! »

دفع السيرجنت بريخت ماسورة مسدسه في ظهر ماجد بعنف شديد وهو يقول له: ها قد حانت لحظة الانتقام.. لسوف يكون شيئا رائعا أن تشتعل من جديد أفران الغاز التي ظلت خامدة عشرات السنين، وسيكون ممتعاً أن تشم رائحة جلدك وهو يحترق !

وضحك بصوت مُدوٍ كأنه يؤكد جنونه هو الآخر.. واقتيد ماجد إلى سيارة جيب كانت تنتظر بالخارج.. وانطلقت السيارة بهم. ماجد بجوار السائق والسيرجنت ورجاله الثلاثة في الخلف مصوبون اسلحتهم إلى رأسه. مال السيرجنت بوجهه الأحمر الدموي للامام ناحية ماجد وهو يقول : ما رأيك في رصاصة تخترق عنقك وبعد ذلك نشويك في افراننا فوق نار هادئة لتمتد لذتنا وقتاً اطول ؟

ولمعت عيناه ببريق الانتقام المجنون.. وسحب مسدسه وصوبه نحو رقبة ماجد، وكان باديا على ملامح الضابط النازي أنه يعني ما يقول تماما.. وانه يتمتع بارهاب ماجد قبل قتله.

واحس ماجد بالمعدن البارد الصلب لفوهة المسدس يلتصق برقبته.. ولم يكن معه أي سلاح، وكان عليه التصرف بسرعة فلن يمضي كثيرا قبل أن يطلق الضابط المجنون مسدسه عليه.. وبحركة مباغتة من قبضة ماجد أطاح بالمسدس من يد السيرجنت، وبنفس اللحظة أدار مقود السيارة بطريقة حادة لتصطدم باحدى الاشجار وتنقلب على جنبها.

قفز ماجد من مكانه بخفة شديدة قبل انقلاب السيارة بلحظة، واندفع يعدو تجاه الاشجار القريبة، ومن الخلف سمع زعيقاً وصراخاً أعقبه أصوات طلقات رشاش خلفه..

احتمى ماجد بأقرب الاشجار إليه، وشاهد عدداً من الجنود المسلحين يندفعون نحوه فكمن في هدوء.

كان الليل قد حل بالمكان وهو يمثل أفضل ستار له، وإن كان البحث عنه لن يستمر طويلا خاصة وهو بلا سلاح وسوف يعثرون عليه حتما.

وصاح السيرجنت بريخت بجنون بعد أن خرج من السيارة المقلوبة بقدم مكسورة راح يجرها في غضب مجنون وهو يصرخ : اقتلوا هذا الفتى.. مزقوا جسده بالرصاص.. إنه عدوكم الأول

وصلت كلمات السيرجنت إلى ماجد وهو مختفٍ خلف الشجرة العريضة.. واقترب جنديان يحملان المدافع الرشاشة من مكمنه..



وبلحظة واحدة انقضا على الشجرة وهما يطلقان سيلاً من الرصاص عليها.. ولكنهما لم يجدا أحداً خلف الشجرة.. ووقفا ذاهلين لحظة قبل أن تنقض عليهما صاعقة من أعلى.. فقد سقط ماجد عليهما من فوق الشجرة، وبحركة بارعة كانت قدماه الاثنتان قد اطاحتا بالجنديين وألقتهما فاقدي الوعي.

واستولى ماجد على احد المدفعين الرشاشين وخنجر كبير تسلح بهما، واندفع يعدو نحو قلب الغابة التي تحيطها اسوار المنزل على البعد. كان ماجد يدرك أن موقفه ضعيف جدا.. وأنه لن ينجو بحياته إلا اذا استطاع مغادرة ذلك المكان الذي يعج بالجنود المجانين.. فاندفع يواصل عدوه بسرعة كبيرة.

وفجأة أحس ماجد بشيء ينقض على قدمه، وبجسده يرتفع في الفضاء ثم يتأرجح قريبا من قمم احدى الأشجار معلقا من ساقه في الهواء.وعرف ماجد انه وقع في شرك خداعي.. وان هذا ما كان يقصده عبد السلام عندما أخبره أن المكان ممتلئ بالشراك والفخاخ.. وسمع ماجد اصواتاً تقترب مهرولة فأدرك ان موقفه سيصير سيئا لو ظل في مكانه.. وبقوة أخذ يؤرجح نفسه فتحرك جسده ببطء، ثم اكتسب قوة دفع من حركته الضعيفة، ومال بجسده والتوى حتى استطاع الامساك بالحبل في يده وحله عن قدمه في اللحظة التي ظهر فيها عدد من الجنود أسفل المكان، وتطوح ماجد بالحبل عندما انهمر سيل من الرصاص حوله، وكأنه طرزان طار

بالحبل إلى شجرة اخرى احتمى بين اغصانها القوية، وصوب رشاشه إلى الجنود المهاجمين بأسفل فحصدهم جميعا في لحظة خاطفة.

وهبط ماجد من الشجرة ببطء وحذر.. كانت جثث الجنود ملقاة في العراء والهدوء يشمل المكان.. وتحرك ماجد على مهلٍ، وفجأة سقطت شبكة كبيرة من رؤوس الاشجار فوقه شلت حركته.. واصاب ماجد غضب شديد وهو يحاول الافلات من الشبكة بلا فائدة، وتذكر السكين التي استولى عليها، فاخرجها واخذ يحاول قطع خيوط الشبكة حتى استطاع ان يصنع فتحة فيها خرج منها. وأختبأ ماجد عن قرب فشاهد بعض الجنود يقتربون من الشبكة في حذر.. وما ان انحنى أولهم عليها حتى فاجأه ماجد بالرصاص.. وفوجئ بقية الجنود بهجوم ماجد الذي لم يتح لهم فرصة للدفاع عن انفسهم وسقطوا جميعا قتلى. وتوقف ماجد لاهثاً وهو يمسح عرقه. كان المكان يمتلئ بالمفاجآت حقا وكان عليه ان يكون حذرا، لا من اعدائه فقط، بل من شراكهم الخداعية ايضا. وبهدوء وحذر شديدين أخذ ماجد يتحرك وهو يتطلع إلى الأرض أسفل قدميه، ورؤوس الاشجار فوقه خوفا من مفاجأة تأتيه على غير انتظار.

وتوقف عندما سمع اصوات هرولات وصياح الجنود الذين اندفعوا من الخلف فاستدار بسرعة وسلك طريقه مبتعدا.. ولكنه توقف عندما قطع عليه الطريق فجأة ظهور ستة جنود، وعلى الفور انطلقت رصاصته تحصدهم في غضب شديد، وتهاوى الجنود على الارض

ليظهر غيرهم.. واستمر ماجد في اطلاقه الرصاص حتى فرغ مدفعه واختفى المهاجمون من امام عينيه فأمسك السكين متأهبا.. كان الهدوء يسود المكان حوله.. وأدرك ماجد أنه هدوء خداع.. أو الهدوء الذي يسبق العاصفة، فاستمر في سيره بحذر حتى تكشفت له ساحة خالية غارقة في الظلام.

وما كاد ماجد يخطو داخلها حتى التمعت كشافات عديدة مبهرة من كل اركانها أمامه.. كانت كشافات السيارات المصفحة التي اندفعت تهدر باتجاهه ورشاشاتها مصوبة نحوه.

وانفجر سيل عارم من الرصاص والقنابل كأنه الجحيم حول ماجد، فاندفع يحتمي، باقرب الاشجار إليه، ولكن قذيفة اصابت الشجرة في منتصفها فتهاوت ساقطة على الأرض بصوت مدوٍ.

وأدرك ماجد حرج موقفه، ولم يكن يملك من السلاح ما يمكنه أن يواجه به رتلاً من السيارات المصفحة التي تهاجمه كما لو كانت تخوض حربا.

وراحت المصفحات تقترب وتقترب على شكل نصف دائرة وهي تصب حممها ورصاصها في كل اتجاه.. وفوجئ قائد آخر بالشبح الذى انقض عليه من الخلف، وبضربة قاضية من قبضة ماجد في عنق المصفحة استرخت رأس الرجل، وعلى الفور كان ماجد يحتل مكانه ويلقيه خارجا.

واستدار ماجد بالمصفحة حتى اصبح خلف بقيتها المهاجمة.. وعلى الفور صوب صواريخه وقنابله تجاه المصفحات الأخرى.

وفوجئت المصفحات بالهجوم الذي لم تتوقعه، وقبل أن تستدير لتواجهه كان ماجد قد تخلص منها جميعا قبل أن تتاح لها فرصة الدفاع عن نفسها فانفجرت بصوت مدوٍ أشعل ظلام المكان. رفع ماجد يديه بعلامة النصر.. واندفع بالمصفحة يخترق صفوف الأشجار محاولا الاقتراب من اسوار المكان.

وفجأة برزت من الامام ست دبابات تقطع عليه الطريق.. وفوجئ ماجد وتوقف على الفور.. كان يعرف تماما أن مصفحته لن تقوى على الصمود امام الدبابات الست.. وعلى الفور اندفع ماجد بسيارته المصفحة عائداً إلى قلب الغابة.. كان من المستحيل عليه مواجهة الدبابات أو محاولة اختراق الأسوار.. وعلى الفور اندفعت الدبابات خلفه تطارده، وانفجرت دانة على بعد مترين فقط من المصفحة، ثم انفجرت أخرى اسفل المصفحة التي توقفت مزمجرة بعد إصابة عجلاتها.

وكان البقاء في المصفحة اكثر من ذلك يسمى انتحاراً، فقفز ماجد من المصفحة وألقى بنفسه بعيداً عنها، وبنفس اللحظة صوبت الدبابات الست ابراجها نحو المصفحة واطلقتها مرة واحدة.

وانفجرت المصفحة بصوت رهيب وتناثرت إلى شظايا، وخفق

قلب ماجد، لو انه بقي لحظة واحدة في المصفحة لكان مصيره الموت المؤكد.

توقفت الدبابات الست حول المصفحة المشتعلة، وظهر السيرجنت « بريخت » وهو يهبط من احدى السيارات الجيب ويتقدم من المصفحة المنفجرة وهو يعرج على قدمه المحطمة ويبتلع ألمه بإرادة شديدة.

وشاهده ماجد وهو يسأل قائدي الدبابات عنه فأخبروه أنه قفز منها قبل انفجارها بلحظة.. وظهر الغضب العاتي على وجه بريخت وصرخ في جنوده الذين تدفقوا على المكان : ابحثوا عن هذا الثعلب وآتونى به في الحال حيا أو ميتا.

تحرك ماجد بهدوء مبتعدا عن المكان.. ولكنه كان أقل حذراً هذه المرة فلم ينتبه إلى الاعشاب واغصان الأشجار الخداعية اسفل قدميه، وما أن وطأها بقدمه حتى انهارت الارض تحته فوجد نفسه يسقط في حفرة عميقة لا يقل ارتفاعها عن اربعة امتار.

وما لبث الجنود أن احاطوا بالحفرة من أعلى ورشاشاتهم مصوبة إلى ماجد، الذي ادرك أنه سقط في الفخ أخيراً وانه لا حظ له في النجاة.

* * *

« الانقاذ.. على غير انتظار »

صعد ماجد خارج الحفرة بالحبال التي القيت اليه.. وحاصرته فوهات الرشاشات التي تزيد عن المائة والتي احاطت به من كل جانب والدبابات والمصفحات التي طوقت المكان والعيون الحادة المجنونة التي حاصرته بغضب رهيب، وتقدم منه بعض الجنود فقيدوا يديه بالحبال خلف ظهره.

وتقدم نحو ماجد السيرجنت بريخت وهو يعرج وتوقف امامه وهو يتأمله وانفاسه تتصاعد وتلهث حقداً وكراهيةً.. وقال بصوت رهيب : لسوف يكون شيئاً مريحاً لك أن تموت بالرصاص .. وهذا ما لن تنعم به .. سوف اقطع من لحمك جزءا جزءا قبل أن اقتلك.

وامسك بسكين طويلة قربها من وجه ماجد وهو يقول له : والآن ما هو الجزء الذي ترغب في أن نبدأ به.. اصابعك أم اذناك أو انفك.. أم تحب أن نبدأ بعينيك ؟

حدق ماجد الرجل المجنون بصمت، وانفجر السيرجنت بغضب

هادر : انطق أيها الغبي.. ورفع يده بالخنجر وكان أن يهوي به في قلب ماجد، وتأهب ماجد ليضربه بقدمه ضربة قاتلة لولا أن أوقفه صوت انبعث من الخلف بحدة قائلا : انتظر ايها السيرجنت.

توقفت يد السيرجنت في الهواء، والتفت إلى الخلف وارتخت عضلات ماجد واستدار على الصوت الانثوي الذي انبعث من الخلف.. كانت سونيا واقفة بشعر مبعثر فوق وجهها وانفاسها تتصاعد وتهبط بشدة، وقالت بصوت قوي آمر إن الكولونيل يريد الاسير حيا.

هتف السيرجنت بريخت غاضبا : ماذا تقولين.. لقد امرني الكولونيل بقتله.

ــ لقد تغيرت الاوامر.. وهو يريده حيا..

ظهر التردد على بريخت، كانت تتصارع داخله عاطفتان، كراهيته لماجد ورغبته في الانتقام منه، وعدم استطاعته مخالفة أوامر رئيسه.

وبغضب مكبوت صاح في جنوده : خذوه إلى الكولونيل.

تقدمت سونيا قائلة : سأذهب معه.

لم يعترض بريخنت، ودفع الجنود ماجد إلى احدى سيارات الجيب فجلست سونيا بجواره، على حين وقف ثلاثة حراس في الخلف ومدافعهم الرشاشة مصوبة إلى رأس ماجد برغم أنه كان مقيد اليدين.. وتحركت السيارة وخلفها عدد من السيارات الجيب المدججة بالجنود تحرسهم الدبابات.

مالت سونيا على ماجد وهمست له بالانجليزية : ان الكولونيل لا يريدك.. لقد تظاهرت بذلك حتى انقذك من الموت.

تطلع ماجد إلى سونيا بدهشة وقال لها بالالمانية : انني لا افهم ماذا تقصدين ؟ ظهر الخوف على وجه سونيا وهتفت بالانجليزية مرة أخرى : تحدث معي بالانجليزية فهؤلاء الجنود لا يفهمونها.. انني اريد انقاذك.

تطلع ماجد إليها ساخرا وقال لها : هل هذه خدعة جديدة ؟

ـــ سونيا : وما الداعي للخداع وقد كان بامكاني ترك بريخت يتخلص منك. صدقني لقد جئت في اللحظة المناسبة لانقاذك فعلا.

قال ماجد بدهشة : ولكن لماذا تريدين ان تنقذيني.

وقاطعته سونيا بلهفة قائلة : انني لست متعاونة مع الكولونيل « جوزيف » كما تظن، وسأشرح لك فيما بعد، والمهم الآن أن انقذك قبل أن نصل الى الكولونيل وإلا فسيكتشفون خدعتي لهم ويقتلوننا معا فهم لا يرحمون.

ـــ ماجد : لقد تأخرت يا سيدتي.. لم يعد هناك مجال لفعل اي شيء وهذا الجيش يحرسنا.

تألقت عينا سونيا وهتفت : إن لدي السلاح الذي تحتاجه.. الغاز « بيتاديل ».

تطلع ماجد الى سونيا بدهشة، وأكملت الالمانية الشقراء بصوت

متهدج : لقد تمكن البهجوري من تركيب الغاز بدون أن يخبر الكولونيل بذلك، فأسرعت إليك به في هذه الحقيبة المعدنية الصغيرة.

وابرزت له من حقيبتها علبة معدنية في حجم علبة السجائر وأكملت قائلة : إن هذه العلبة مليئة بالغاز وهو أشبه بالقنبلة المضغوطة بداخل العلبة، واذا ما انفجرت في هذا المكان فهي كفيلة بايقاف هؤلاء المجانين وجعلهم ينسون الحرب وحقدهم القديم.. سوف تمسح ذاكرتهم تماما خلال ثوانٍ قليلة.

تطلع ماجد إلى العلبة الصغيرة ثم تطلع إلى سونيا وقال بقلق : ولكننا سنفقد ذاكرتنا معهم.. سيصيبنا ما سوف يصيبهم.

همست سونيا : لا.. لقد اكتشف البهجوري دواء على شكل اقراص تعادل تأثير الغاز فلا يتأثر به من يستنشقه ولم يخبر الكولونيل بذلك.

وابرزت لماجد قرصان صغيران وهتفت به : هيا نتناول أحدهما.. لقد اخذ البهجوري واحداً ثالثا.

تطلع ماجد إلى سونيا بشك وهو لا يصدق تدخلها على تلك الصورة، وهتفت سونيا به في قلق وتوتر بالغين : ارجوك صدقني فلا وقت لدينا.. اوشكنا على الوصول.

هز ماجد رأسه بصمت.. لم يكن هناك بالفعل ما يمكن ان يفعله غير انْ يطاوعها. ووضعت له سونيا احد القرصين في فمه

فابتلعه وابتلعت هي القرص الاخر وبحركة خفية اخرجت سكيتنا صغيرا من ملابسها وقطعت الحبال التي تقيد يدي ماجد ثم اعطته العلبة الصغيرة وهتفت به: الآن يجب تفجير هذه العلبة، اوشكنا أن نصل.

وظهر امامهم على مسافة قريبة منزل الكولونيل، وقد وقف امام بابه مندهشا من جيشه الذي يندفع بماجد المأسور نحوه.

ابتسم ماجد الى سونيا وأيقن صدقها، قد صار طليقا وكل ما يلزمه الآن هو الحصول على مسدس لتفجير العلبة.

وبحركة مباغتة اختطف ماجد أحد المدافع الرشاشة من احد الحراس خلفه، وقفز به من السيارة وتدحرج على الأرض، وعلى الفور انهال سيل من الرصاص خلفه، وألقى ماجد بالعلبة على الأرض، واطلق عليها الرصاص فانفجرت بصوت مدوي وانبعثت منها سحابة صفراء.

وصرخ السيرجنت بريخت بجنون : اقتلوا هذا الملعون.

وعلى الفور اندفع مئات الجنود نحو ماجد وهم يصوبون رشاشاتهم نحوه فاخذ ماجد يعدو مبتعدا باتجاه الاشجار القريبة، وتعثر ماجد على الارض في اللحظة التي حاصره فيها عدد من الجنود وهم يتأهبون للضغط على زناد رشاشاتهم. وفجأة توقف كل شيء..توقفت اصابع الجنود على الزناد ولم يطلقوا الرصاص

وظهرت في عيونهم نظرة حائرة ذاهلة.. وتوقفت الدبابات عن اطلاق قذائفها عليه.. وتوقف السيرجنت بريخت عن الصياح وظهرت في عينيه نظرة مشردة تائهة.. وحدث نفس الشيء بالجنود الباقين الذين ظهر عليهم ذهول طاغ فألقوا اسلحتهم واخذوا ينظرون لبعضهم البعض وقد فقدوا كل تركيز أو حتى القدرة على الحديث، وهم لا يدركون ما يدور حولهم. واجهش الكولونيل بالبكاء كطفل صغير فقد أمه وأخذ ينتحب وهو جالس على الارض.

كان ما يشاهده ماجد مذهلا.. واقتربت منه سونيا بوجه متألم وهي تقول : لم يكن هناك مفر من حدوث ذلك.. لقد اختاروا نهايتهم بأيديهم.

واقترب البهجوري منها وقد غشت عينيه سحابة من الألم والحزن وهو يتطلع حوله وقال بأسى : لم اتخيل أنني سأشاهد هذا المنظر في حياتي، ولكنهم سعوا إليه بانفسهم.

تمالك ماجد مشاعره وقال : يجب ابلاغ السلطات الالمانية بما حدث، فقد صار هؤلاء الاشخاص اشبه بالاطفال أو المتخلفين عقليا وبحاجة إلى من يرعاهم.

ـــ البهجوري : معك حق.. هيا بنا.

واستقلوا ثلاثتهم احدى سيارات الجيب، وقادها ماجد خارجا من المكان وهو يتذكر الاسهم وطرق الخروج التي كان قد شاهدها في الخريطة التي أراها له عبد السلام.

وراح ماجد يقود السيارة بصمت، وبصوت يحمل بعض الأسى قالت سونيا له : لا شك انك تريد أن تعرف الحقيقة في موقفي.. سوف اشرح لك كل شيء لتعرف انني كنت مجبرة على التعاون معهم.. لقد شرحت كل شيء لاستاذي البهجوري فساعدني واعطاني قنبلة الغاز ووثق بي.. ولولا ذلك ما نجينا.

وشردت عيناها لحظة وامتلأت بالدموع وهي تقول : كان والدي ضابطا في جيش هتلر، وبعد انتهاء الحرب حوكم ضمن من حوكموا من الضباط الكبار وحكم عليه بالسجن عشر سنوات باعتباره مجرم حرب، بالرغم من انه لم يكن مسؤولا إلا عن الشؤون المعنوية في الجيش. وبعد أن خرج من السجن اعتزل الحياة واقام في منزل ريفي كان يملكه في « ميونيخ » فعاش فيه وتزوج من المشرفة على المنزل وكنت انا ثمرة هذا الزواج.

وتهدج صوتها وهي تقول : وكان عمري خمس سنوات عندما قُتل والدي امام عيني.

تطلع ماجد إلى سونيا وقال متسائلاً : قُتل.. من قتله ؟

اجابت الفتاة بصوت متألم : انهم بعض اقارب الذين احرقوا في افران الغاز وهؤلاء المجانين المنتقمين لم تكفهم سنوات السجن والذل الذي عاش فيها والدي فاغتالوه بعد خروجه من السجن، واطلقوا عليه الرصاص امام عيني انتقاما منه، برغم انه لم يكن مسؤولا عن اي جرائم في الحرب.

ولمعت عيناها ببريق حاد وهي تقول : وبعدها تـركت امـي « ميونيخ » وجاءت لتعيش في « بون » معي.. وبعد أن دخلت الجامعة كان البهجوري استاذي لمادة الكيمياء العضوية التي كان يدرسها لنا.. وفي هذا الوقت تعرفت على الكولونيل « جوزيف » الذي كان يعرف قصة والدي وكيف قُتل، وطلب مني أن اتعاون معه للانتقام لابي، وأن احاول لفت انتباه البهجوري ليجعلني مساعدة له لأنه كان يعرف أن الاستاذ البهجوري على وشك الوصول إلى تحضير الغاز الرهيب.

ــ ماجد : وهكذا اصبحت مساعدة للبهجوري وساعدت رجال الكولونيل على اختطافه، وتظاهرت بالبراءة ونجحت في تضليـل الالمان، وسافرت إلى سويسرا، وعندما رحت اراقبك حاول احد رجال الكولونيل قتلي لأنه خشي انني اشك بك.

ــ سونيا : تماما.. وبعد سرقة جواز سفري احضر لي الكولونيل جوازا آخر سافرت به إلى المانيا، وهناك كانت اوامر الكولونيل أن اجعلك تراني لتطاردني فيقبضون عليك بعد أن فشلوا عدة مرات في قتلك.. لقد كان الكولونيل يحبني حباً جماً وكان يثق بي ثقة عمياء وكان يرغب في الزواج مني.

تساءل ماجد بدهشة : ولكنني لم افهم بعد.. ما الذي جعلك تغيرين موقفك هذا لتنقلبي ضد الكولونيل ورجاله ؟

قالت سونيا بمرارة : لقد كنت مدفوعة بالرغبة في الانتقام لمقتل

والدي، ولكن بعد أن رأيت كيف قام الكولونيل بتعذيب البهجوري أدركت بشاعة ما قمت به، وكيف أن امتلاك الكولونيل لقنابل غاز «بيتاديل» قد يعني دمار الحضارة البشرية بالكامل، فاستيقظ ضميري وحاولت اقناعه بأن يتخلى عن تلك الفكرة الجنونية في اشعال نيران الحرب العالمية الثالثة، ولكنه رفض وسخر مني وقال إنه سيصير زعيما لقطيع من الاغنام البشرية بعد ضربهم بقنابل الغاز، فأدركت أنه قد جن وأن حصوله على الغاز سيعني دمار العالم، فاقنعت البهجوري باخفاء قنبلة الغاز والاقراص المضادة لها والتي توصلنا إليها بدون علم الكولونيل، على أن اسلمها لك للتخلص من هؤلاء المجانين.

ومسحت دموعها الساخنة الملتهبة وهي تقول : اما والدي فأقسم على الانتقام ممن قتلوه امام عيني وسأهب حياتي كلها لذلك.

ولم يشأ ماجد أن يقول لها أن هناك آخرين قد وهبوا حياتهم لنفس الغرض.. وأن الحياة قد تجمعهما في مهمة واحدة لنفس الهدف.

وضغط على دواسة البنزين بقوة فاندفعت السيارة تشق طريقها كالسهم خارج الغابة السوداء.

* * *

الفهرس

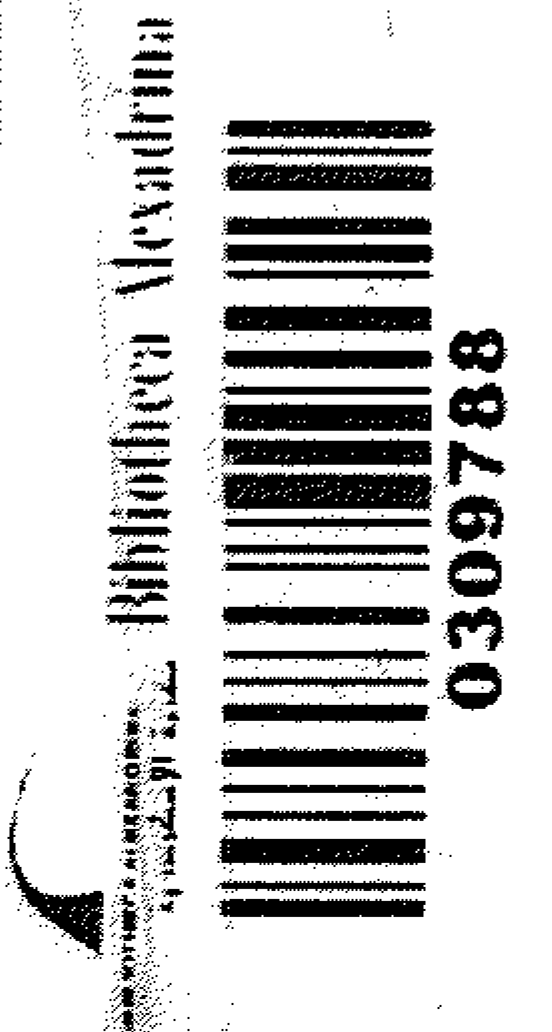
هذه العملية :

تأليف : مجدي صابر

الغابة السوداء

هناك.. في قلب المانيا.. في ذلك المكان الموحش المقفر المسمى بالغابة السوداء.. من جديد تنبت النازية.. حيث يستولي بعض الافراد من المؤمنين بها على سلاحٍ رهيب يهددون بدمار العالم به ... وكان مع ماجد التدخل.. فالسلاح قد اخترعه عالم عربي.. وقد اختطفه النازيون الجدد..

وكان على ماجد اعادة العالم العربي سال من الدمار.





دار الجيل
بيروت